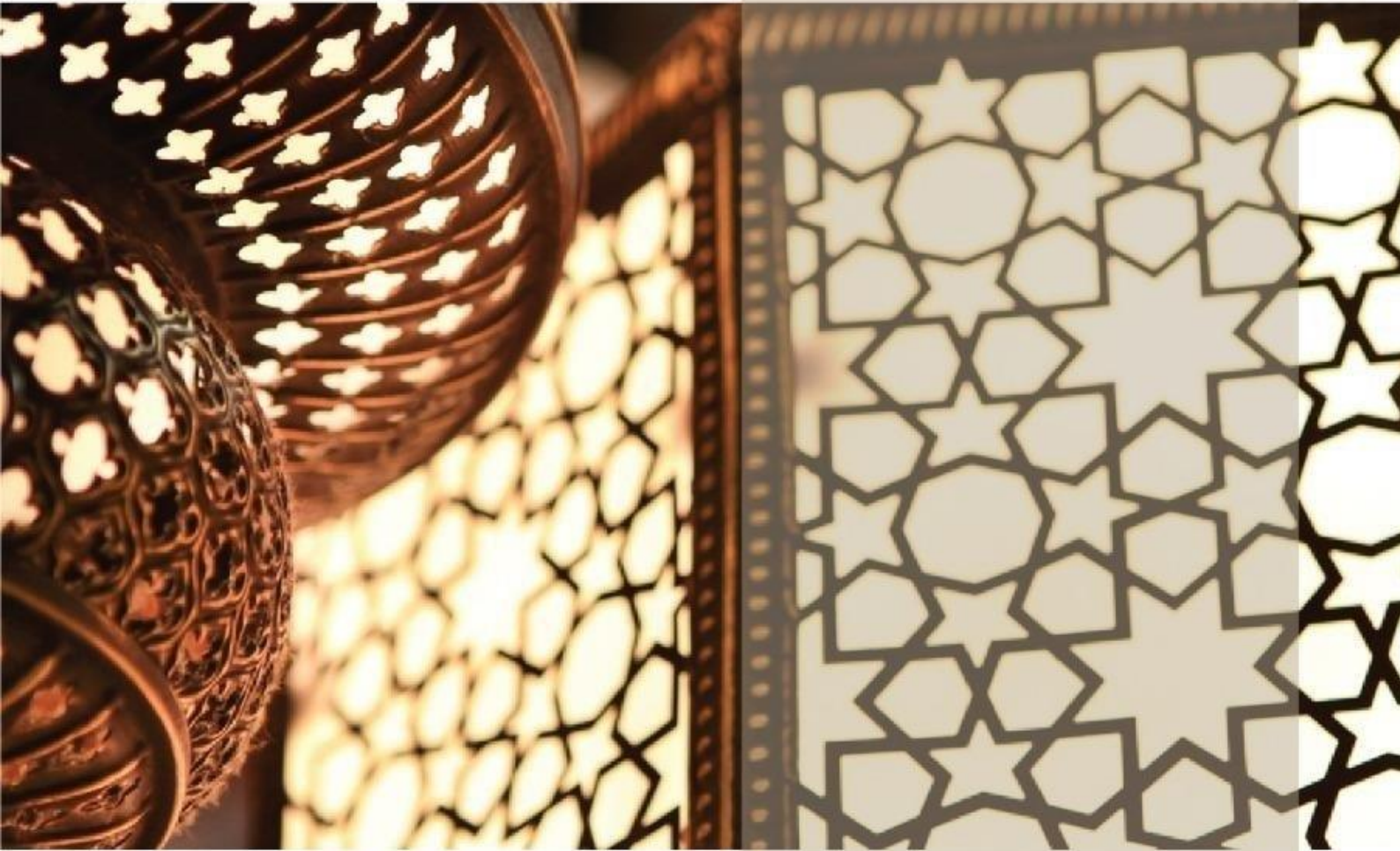




رؤية
VISION
2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA



مجلة

جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية
والدراسات الإسلامية

علمية - دورية - محكمة

العدد : الخامس

المجلد: التاسع عشر

التاريخ: ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

مجلة علمية - دورية - محكمة
تُعنى بنشر الأبحاث الشرعية
والدراسات الإسلامية
تصدر عن جامعة الملك خالد
أبها - المملكة العربية السعودية

المجلد (التاسع عشر) العدد (الخامس)

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

رقم إيداع ١٤٢٤/٨١٤

بتاريخ ١١/٢/١٤٢٤هـ

الرقم الدولي المعياري (ردمك)

١٦٥٨-١١٨٠

الإشراف والتحرير

المشرف العام

أ.د. فالح بن رجاء الله السلمي

رئيس الجامعة

نائب المشرف العام

أ.د. حامد بن مجدوع القرني

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير

أ.د. خالد بن محمد القرني

الهيئة الاستشارية

عضو هيئة كبار العلماء (سابقاً)

معالي الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان

عضو هيئة كبار العلماء (سابقاً)

الشيخ الأستاذ الدكتور سعد الخثلان

عضو هيئة كبار العلماء (سابقاً)

الشيخ الدكتور قيس المبارك

عضو هيئة كبار علماء الأزهر

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم

أستاذ التفسير وعلومه

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور زاهر بن عواض الألمعي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل

أستاذ أصول الفقه

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عياض بن نامي السلمي

أستاذ الثقافة الإسلامية

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الزنيدي

أعضاء هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ.د. خالد بن محمد القرني
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة / جامعة الملك خالد.

١ أ.د. محمد بن ظافر الشهري
أستاذ السنة وعلومها، وعميد كلية الشريعة وأصول الدين / جامعة الملك خالد.

٢ أ.د. جبريل بن محمد حسن البصيلي
عضو هيئة كبار العلماء، وأستاذ أصول الفقه / جامعة الملك خالد.

٣ أ.د. يحيى بن عبد الله البكري
أستاذ السنة وعلومها / جامعة الملك خالد.

٤ أ.د. كمال مولود جحيش
أستاذ المذاهب المعاصرة / جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية / الجزائر

٥ أ.د. منيرة بنت محمد الدوسري
أستاذ التفسير وعلوم القرآن / جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل بالدمام.

٦ أ.د. عبد الرزاق مبروك بالعقروز
أستاذ الفلسفة / جامعة محمد لمين دباغين سطيف ٣ / الجزائر.

٧ أ.د. أحمد آل سعد الغامدي
أستاذ الفقه / جامعة الملك خالد.

٨ أ.د. عرفات أحمد مقبل السهيلي
أستاذ علم الأديان / جامعة تعز / اليمن

٩ أ.د. عبد الحميد سيف أحمد الحسامي
أستاذ اللغة العربية وآدابها / جامعة الملك خالد

١٠ د. محمد بن علي القرني
أستاذ الأنظمة المشارك / جامعة الملك خالد.

١١ د. محمد بن سالم الشغبي
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية / جامعة الملك خالد.

رؤية المجلة:

ريادة إقليمية في نشر البحث العلمي وسعي للوصول لأفضل تصنيف عالمي في مجالات نشر البحوث.

رسالة المجلة:

إثراء الحركة العلمية بخدمة العلم الشرعي بفروعه المختلفة ، وإتاحة الفرصة للباحثين لنشر أبحاثهم فيها لتكون واجهة ثقافية مشرقة للجامعة.

قيم المجلة:

- ١ . الأمانة .
- ٢ . العدل .
- ٣ . الوسطية .
- ٤ . الإتقان .

أهداف المجلة:

- ١ . خدمة البحث العلمي الشرعي الدقيق وفق المنهج الصحيح .
- ٢ . معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة وفق الأصول الشرعية .
- ٣ . إثراء الحركة العلمية بالبحوث المتميزة بما يحقق رؤية الجامعة ورسالتها وأهدافها .
- ٤ . إيجاد وسيلة لنشر العلوم الشرعية تمكن الباحثين من نشر بحوثهم وفق منهج البحث العلمي .
- ٥ . التواصل العلمي والبحثي مع علماء الإسلام في كل مكان .
- ٦ . الاهتمام بتحقيق التراث الإسلامي ونشره .

عنوان المجلة:

مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية

أبها ص.ب: (٩٠١٠)

وتتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة:

Email: almajallah@kku.edu.sa

الموقع الإلكتروني للمجلة

(<https://jisais.kku.edu.sa>)

قواعد النشر

أولاً - شروط النشر:

١. أن يتقيد البحث بالضوابط الشرعية والسياسات التعليمية والأنظمة المرعية للمملكة العربية السعودية.
٢. أن يتصف البحث بالأصالة والجدة.
٣. التقيد بقواعد البحث العلمي المتعارف عليها.
٤. يمكن للبحث أن يكون جزءاً من كتاب للباحث، أو مستقلاً من رسالة نال بها درجة علمية.
٥. إذا كان البحث قد سبق نشره في منافذ نشر أخرى فلا تتحمل المجلة أية تبعات قانونية حيال ذلك.
٦. ألا يزيد عدد كلمات البحث عن عشرة آلاف كلمة.
٧. يشتمل الملخص على: عنوان البحث، ومشكلة البحث، وأسئلته، والمنهج المتبع، وأهم النتائج.
٨. تشتمل مقدمة البحث على: عنوان الدراسة، ومشكلة البحث، أسئلته، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، والإضافة العلمية، ثم يذكر مخطط البحث وطريقة ترتيبه.

ثانياً - تعليمات النشر:

- يقدم الباحث عمله من خلال الإرسال على الموقع الخاص للمجلة:
(https://itsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals/faces/login.xhtml) ، مدوناً بنظام (word) وفق الآتي:

- نوع الخط (Traditional Arabic).
- نمط المتن : (١٦)، والهوامش والمراجع : (١٢) والعناوين (١٨).
- يرفق مع البحث ما يأتي:
- ملخص باللغتين العربية والإنجليزية لا يزيد عن (٢٠٠) كلمة.
- إرفاق ما يثبت اعتماد ترجمة الملخص باللغة الإنجليزية من مركز متخصص، بحيث يكون الختم على ذات الترجمة في الـ pdf المرفق.
- ملخص السيرة الذاتية، يتضمن: (الاسم، الدرجة العلمية، التخصص الدقيق، العمل الحالي، أهم الإنجازات العلمية، عنوان المراسلة، والبريد الإلكتروني، رقم الهاتف).
- التزام التوثيق والإشارة إلى مصادر البحث وفق الطريقة الآتية:
- وضع هوامش كل صفحة في أسفلها؛ وتكون أرقام الحواشي بين قوسين.
- كتابة الآيات القرآنية وفق الرسم العثماني، معزوة في المتن؛ وتُحمل من خلال هذا الرابط: (<https://nashr.qurancomplex.gov.sa/site/>).
- يجب أن تكون بيانات المراجع الملحقة في آخر البحث كاملةً وغير مختصرة لكل مرجع، وأن يلتزم في كتابتها بأسلوب MLA.

ثالثاً - إجراءات التحكيم والنشر:

- تخضع جميع البحوث للتحكيم العلمي، وفق اللوائح والأنظمة والضوابط العلمية المتعارف عليها.
- ترتيب البحوث عند نشرها يخضع لاعتبارات فنية، والأصل في ذلك مراعاة الترتيب الزمني.
- تحتفظ المجلة بحقوقها في نشر البحث في العدد المناسب، أو إعادة نشره في أي صورة كانت.
- تعبر المواد المنشورة عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

محتويات العدد

١

[٤٤-٦]

الرقابة على البيئة الطبيعية في السنة النبوية

د. أماني بنت محمد بن سيف العتيبي (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)

٢

[٨٥-٤٥]

الاحتجاج للقراءات بالأحاديث التي ليس فيها تصريح بألفاظ القراءة من خلال كتاب: (قراءات النبي ﷺ) للدوري "جمعا ودراسة ومقارنة"

د. نعمان بن خليل داود مرزا (جامعة أم القرى)

٣

[١٢٠-٨٦]

سُنُّ اللَّهِ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

د. عبد الهادي علي آل طاهر القرني (جامعة بيشة)

٤

[١٧٣-١٢١]

التيارات الفكرية في المناهج الأدبية الغربية (الواقعية والماركسية والسريالية)

د. عبد الرحمن بن غالب عواجي (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)

٥

[٢٢٧-١٧٤]

أحكام المعادن الثمينة غير الذهب والفضة

د. يحيى بن علي العمري (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)

٦

[٣٠٣-٢٢٨]

موقف الحدائين من المعجزات محمد شحور أنموذجا "دراسة نقدية"

د. دولة بنت محمد بن مانع العسيري (جامعة الملك خالد)

٧

[٣٤٧-٣٠٤]

"تأثر مسائل علوم الحديث ببعض تقارير الأصوليين" علوم الحديث لابن الصلاح والنزهة لابن حجر أنموذجا

د. عبد الله بن محمد بن منصور آل الشيخ (جامعة بيشة)

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم الجليل، هادي أوليائه المؤمنين إلى النور والحق المبين، والصلاة والسلام على أشرف الثقلين، ومعلم الأمة الأول: محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم إلى يوم الدين.

فلقد أبان الله تعالى في كتابه الكريم خطورة اتباع الهوى، بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، إلى غير ذلك الكثير من النصوص. ولم يرد الهوى في الوحي إلا مذموماً مطلقاً، كما قال ابن عباس رحمهما الله: "ما ذكر الله الهوى في موضع من كتابه إلا ذمّه".

إن التأمل في هذا كله واستشعاره، إن كان واجباً على كل مسلم؛ فهو على الباحث المسلم أوجب وأشد تأكيداً؛ لذا فإن تأكيدنا الدائم عما يسمى: بالتفكير الرغبةي، أو التحيز المعرفي، والتأمل في أسبابه وآليات عمله؛ يأتي في سياق الحرص على تسديد التفكير العلمي المنهجي، لكي يجد الباحثون مستنداً شرعياً له في النقل والعقل؛ الأمر الذي يجعل اجتناب ذلك النمط من التفكير واجباً إيمانياً تفرضه العقيدة الإسلامية، والنظرية الأخلاقية في الإسلام.

بدايةً يشير الدارسون لهذا النوع من التفكير إلى أنَّ محاولة تحديد آليات عمله، وآثاره أو مشكلاته يمثل الطريق الوحيد لإيجاد توصيفٍ مُعينٍ للتعريف به، ففي دراسةٍ حديثة -أُجريت لغرض اكتشاف مفهومٍ للتفكير الرغبةي في موضوعٍ ما- خلص الباحثون إلى تقديم اقتراح تضمن

"درسين لأولئك الذين يسعون إلى فهم التفكير الرغبي. أولاً: من المشكوك فيه أنه يمكن تطوير تعريفٍ موحدٍ للتفكير الرغبي يعكس استخدامه مؤخراً في أدبيات العلم والقيم. وثانياً: بينما لا يزال من الممكن إعطاء مفهومٍ للتفكير الرغبي... إلا أن هناك مخاطر من أن هذا الاستخدام يمكن أن يركز الانتباه على المشكلات الفردية والمعرفية لاستبعاد الاجتماعية والعوامل الأخلاقية [التفكير الرغبي، ص ٢٨٦، ٢٨٧]. وبالرغم من منطقية القول بصعوبة تحديد تعريفٍ لهذا النوع من التفكير؛ إلا أنه يمكن الكشف عن بعض آلياته في الحقل المعرفي على جهة الخصوص، فقد أُشير إلى أن هذا النوع من التفكير يعمل بشكلٍ خفي عند الأخذ بتناول أدلة الخصوم، إمّا:

- استقراءً وتتبعاً بحيث يكون المفكر الرغبي متحيزاً انتقائياً في تتبع أدلة خصمه أو مخالفه، وإما متحيزاً في تصورها وشرحها والتعاطي معها؛ حيث وصف "التفكير الرغبي... بالمعنى الأوسع بأنه: الرغبة بإبعاد أدلة مخالفه" [التفكير الرغبي، ص ٢٧٥]. ويوصف هذا النوع من الممارسة -عند البناء البحثي- بأنه كذبٌ، وخداع للذات؛ إذ "يقارن التفكير الرغبي مع خداع الذات؛ حيث يُظهر أولئك الذين يقعون فريسةً لخداع الذات جهوداً غير واعية لرفض الأدلة المتعارضة" [التفكير الرغبي، ص ٢٧٥].

- وإمّا من جهة استدلاله على قضيته ومناصرة رأيه؛ حيث يرتكب -حين استدلاله- مغالطةً خفيةً حقيقتها: "مغالطة الانتقال من الرغبة في شيءٍ ما ليكون صادقاً للاعتقاد بأنه صحيح، على الرغم من عدم كفاية الأدلة" [التفكير الرغبي، ص ٢٧٥] أو يمارس الاستدلال غير المنطقي والخطأ في أصله؛ حيث وصف التفكير الرغبي بأنه شعور الباحث "بأنه يحق له الاستدلال من حقيقة أن المرء يريد شيئاً ما ليكون حقيقياً على واقعة أنه حقيقي" [التفكير الرغبي، ص ٢٧٥]، وفي الآلية الأبعد والأشد خطورةً يعمل المفكر المتحيز على ممارسة الكذب أو تزوير الأدلة حتى تتوافق مع النتائج التي يرغب في التوصل إليها "وتجاهل الأدلة التي تتعارض مع الاستنتاجات المفضلة للفرد" [التفكير الرغبي، ص ٢٧٦].

وجميع تلك الممارسات المشوهة في تعاطي المعرفة لا تمارس على مستوى الفرد، فحسب؛ بل قد تمارسها جماعات، ومؤسسات بشكل مباشر، أو غير مباشر، وهو الأكثر.

وترجع أسباب ممارسة ذلك النوع من التفكير إلى المعرفة لدى الأفراد أولاً، والبيئة العلمية والاجتماعية ثانياً؛ وهذا بدوره يولّد آثاراً معرفية، وأخلاقية داخل الصرح العلمي وبين الباحثين أنفسهم؛ إذ على المستوى المعرفي لا يمكن الولوج إلى المعرفة بعمقٍ وتحليلٍ وتتبعٍ دقيقٍ؛ فيضعف التفسير والفهم بالتبع، وتقل الأدوات المشاركة في عملية المعرفة، فالباحث باختصارٍ يحدد ما يمكن له أن يكون معرفةً مسبقاً، فالتفكير الرغبةي هنا يكشف لماذا لم يتم إنتاج المعرفة في حالة معينة؛ "كما يشير أيضاً وبشكل عام في معظم الأحيان إلى أن بعض الفاعلين أو المؤسسات تعمل بطريقة إشكالية" [التفكير الرغبةي، ص ٢٨٢] متحيزة. ومن الناحية الأخلاقية فإن ممارسة التفكير الرغبةي، إضافة إلى كونها خداعاً للذات وللضمير الأخلاقي، وإسلامياً هي تركٌ لواجبٍ إيمانيٍّ أخلاقيٍّ على الجانب الفردي = فإن ممارسته -اجتماعياً أو على صعيدٍ مؤسسي- سيُضَيِّقُ على الباحثين، والراغبين في قول الحقيقة، والكشف عما توصلوا إليه بطريقة موضوعية علمية عادلة.

ونحن هنا نؤكد على أن التفكير الرغبةي يقتضي اطراح الأخلاق، وهذا عندنا هو "أخطر أشكال التفكير الرغبةي" الانفصال الأخلاقي؛ حيث يعتمد الفرد والجماعة... إلى تعديل المعارف بما يجعل الأفعال اللاأخلاقية واللاإنسانية أفعالاً أخلاقيةً إنسانيةً عبر آليات تأويلية متنوعة" [التفكير الرغبةي، ص ١٠٠].

ومما سبق يتضح بأن الانحيازات المعرفية -إن لم يقيدتها البحث العلمي الرصين- تعدّ ذات أثرٍ سلبيٍّ عميقٍ على المعرفة والمؤسسات العلمية والأخلاق، وبالتبع المجتمع المتلقي لتلك المعرفة، وهذا يستدعي ضرورة ربط الباحث العلمي ممارسته بتقوى الله أولاً، فيجدد نيته، ويراجع نفسه مراراً وتكراراً في دراسته لقضية ما، وأن يحرص على فهمها دون انحيازٍ عند محاولته الفهم، وأن يحرص على انتقاء المنهج الملائم لها، وأن يجمع في تناولها بين الوصف والتتبع والتحليل قبل بناء الموقف وإصدار الأحكام، فلا حكم/ أو تصديق -كما يقول المنطقة- دون تصور، وإن لم يتم بناء التصور وفق المنهج العلمي فإن التفكير الرغبةي حينها سيكون هو المتحكم في النتائج. وهذا ما يحملنا دائماً على عدم التساهل حينما يتعلق الأمر بمخالفة المنهج العلمي، ونلح بلا ملل على أن تأخذ مناهج البحث وأخلاقيات إنتاج المعرفة حيزاً أكبر في الدراسات العليا، ونشد على يدَي كل

باحث -مهما بلغت رتبته- وكل مؤسسة معنية بالبحث -مهما بلغ اختصاصها وعمرها المعرفي- أن يكون البدء بتحليل التفكير الرغبي، وبيان آلياته، وخطورة ممارسته على المعرفة الإنسانية. وأخيراً فإن تأكيدنا على خطورة ممارسة هذا التحيز واتباع الهوى والرغبات لا يلزم منه أن يكون كل ما اتفق مع رغباتنا هو خطأ، أو باطل بالضرورة، وإنما المقصود أن لا نجعل الرغبة معياراً عند البحث، ولا نتخذ انحيازنا الأيديولوجي مبرراً كافياً لصحة قضية ما، أو خطئها عند إصدار الأحكام، وعلى الباحث الأكاديمي أن يتخلص من كونه داعية لفكرة يستحسنها، إلى كونه باحثاً في العلم وفق أدوات المنهج العلمي الرصين.

رئيس التحرير

أ. د. خالد بن محمد القرني

Œ ì ñ Ó ¥ † ... å Œ ì Ä Ĩ ... æ × ... Œ ì % | È × ... Œ ì %
Œ ì × † ë | ñ × ... å

ı ... ¢ Ã •

ê — ... æ Ã ^ × † Ç ¢ Š % ĩ Þ | × ...

الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والأديان والمذاهب المعاصرة
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ملخص البحث

عَرَّج هذا البحث على التيارات والاتجاهات الفكرية التي رافقت تلك المناهج الأدبية، التي ظهرت في عصر الحداثة وما بعد الحداثة، فقد ذُكر في هذه الدراسة الاتجاهات الفكرية للمنهج الواقعي، ثم المنهج الماركسي، ثم المنهج الدادئي، ثم المنهج السريالي، وفي كل منهج من تلك المناهج يبرز تعريفه، ثم نشأته، ثم الاتجاهات الفكرية، التي تبناها كل منهج من تلك المناهج، حيث ظهرت الواقعية التي ناقضت الرومانسية التي تقدمت عليها، ثم ظهرت الماركسية التي تفسر الكون تفسيراً مادياً وتنفي الغيبيات، وأن المادة هي الوجود الحقيقي، وتتبنى فكرة الصراع بين الطبقات، ثم ظهرت الدادية، وهي فلسفة عدمية، حيث تكونت في مناخ الحرب العالمية الثانية، وقد أعقبتها السريالية، التي هي في الواقع إنكارٌ كُلُّي لكل شيء، وكان لها انتشار واسع، ولها طقوس، يفترض أتباعها من خلالها إمكانية الوصول إلى العقل الباطني.

وقد سرت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي، لوصف التيارات الفكرية لتلك المناهج، وتوصلت إلى أن تلك الأفكار التي رافقت تلك المناهج، كان لها أثر بالغ في تكوين الذهنية الغربية في العصور الحديثة.

الكلمات المفتاحية: مناهج، الواقعية، الماركسية، السريالية، الدادية.



Abstract

This research addresses the various intellectual currents and trends that accompanied the literary schools that emerged in the modern and postmodern era. Towards that end, this research mentioned the intellectual trends associated with the realist school, the Marxist school, then the Dadaist school and finally the surrealist school. When discussing each of these schools, we provided the definition, origin and the various intellectual trends adopted by each school. This was no simple task since the realist school contradicted the preceding romantic school and was itself followed by the Marxist school which provided a purely materialistic explanation of the universe where the material was the real existence, totally denied the metaphysics and embraced the concept of class struggle. The Marxist school was followed by the Dadaist school, which was based upon a purely Nihilistic philosophy that took form during the turbulent atmosphere of the second world war. The Dadaist school was followed by the surrealist school which gained wide popularity and was based upon total denial of everything and embraced certain rituals that were supposed to activate the unconscious mind. This research adopted the descriptive approach to describe the various intellectual currents associated with these schools and concluded that the thoughts/intellectual trends that were associated with these schools of thought which hugely influenced the various walks of life.

Key words: School of thought, Realism, Marxism, Surrealism, Dadaism.



مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجهم، واستن بسنتهم إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

لقد زاد الاهتمام بالمذاهب الأدبية بشكل لافت وبارز في العقود الأخيرة، واهتم بدراساتها غاية الاهتمام، وأصبحت الكثير من أفكارها وآرائها، موضع تقصُّ ودراسة من قبل الباحثين والمختصين وغيرهم.

وفي الحقيقة يمكن القول: بأن كل تلك المذاهب التي ظهرت وبرزت في الفضاء الأوربي، كانت نتيجة لعقدة سلطة كنسية، أثر الأوروبيون الهروب منها باختراع شتى المذاهب والتيارات الفكرية، التي تقاذفتهم في أرجائها، فقد كانت للسلطة الحديدية لرجال الدين أبلغ الأثر في ذلك.

ولذلك استدرك المسيحيون ما فاتهم من صلف رجال الدين، وأصبح لدى عموم الجماهير قناعة تامة بأن رجال الدين أصبحوا يكيلون لهم بمكيال غير ما يكيلون به لأنفسهم، وأصبح واضحاً للعيان بأن: "الفضائل المسيحية؛ كالفقر، والتواضع، والقناعة، والصوم، والرحمة، كل ذلك خيرٌ للمؤمنين، والقسيسين، والقديسين، والخطب، والمواعظ، أما أساقفة البلاد، والشخصيات الكهنوتية الكبيرة، فقد كان شيء آخر، البذخ والأحاديث المتأنقة مع النساء، والشهوة في المجالس الخاصة، والعجلات، والخدم، والأرباح الجسيمة، والموارد، والمناصب"^(١).

لم يكن ذلك فحسب، بل كان الباباوات الأوائل يلزمون الناس أن يفكروا بنفس طريقة تفكيرهم، يقول البابا كيرلس الأول (٤٤٤م): "يجب أن نقنع الناس أن يفكروا بنفس الطريقة،

(١) المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ترجمة: عبد الحليم محمود، وأبو بكر ذكري، مطابع دار الشعب، القاهرة

فهم مثل العجول المسمنة التي تنحرف عن القطيع، قد امتلأوا من السفاهة، وصاروا يندفعون بطياشة إلى كل ما يهون^(١).

ومن الناحية الأدبية والفكرية العامة فقد بسطت الكنيسة نفوذها على الجامعات الأوروبية بعد أن ألغت جميع العلوم وحولتها إلى معازل للاستعباد وأوكاراً للرجعية، وقد تمسكت الكنيسة بمبدأ موافقة الأسقف على الطلبة الذين يتقدمون للحصول على درجة الدكتوراه في القانون من بولونيا بإيطاليا، وفي باريس ينبغي أن يكون رئيس الجامعة هو رئيس الأساقفة، فأصبح أساتذة الجامعات لا يعنون بمعرفة الحقيقة أو تعليمها، بقدر ما يهمهم نشر آراء الكنيسة واعتناق مبادئها^(٢).

ولهذا فقد واجه أغلب المنخرطين في السلك الفكري والأدبي المخالف لمفهوم الكنيسة اللعن والطرود والموت^(٣).

بهذا المنظور المتعجرف، الذي بلغ شأواً لا يطاق، اندفعت العقلية الأوروبية سابحة في فضاء من التيارات، التي رأوا من خلالها طوق النجاة من الكنيسة ورجالها.

فظهرت مذاهب فكرية وعقلانية وتجريبية، ثم ظهرت مناهج أو مذاهب حديثة وما بعد حديثة —وهي موضع هذه الدراسة المتواضعة— وهذه المناهج وإن كانت تنطلق من الأدب، إلا أنها لم تقتصر عليه.

نعم، لم تقتصر عليه، بل كانت لها اتجاهات فكرية، طبقوها على مختلف نوازع الحياة، وإن كان الأدب هو أبرز تجسّداتها، والناطق باسم مكوناتها.

(١) حوار حول الثالث، البابا كيرلس الأول، مؤسسة القديس أنطونيوس، القاهرة، ط ١، ١٠١٤ م، ص ١١.

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، تقديم: الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، لبنان، دار الجيل، ١٩٨٨ م، ١٧/٥٤.

(٣) انظر: نشأة التحرّرية الأوروبية من الفكر السياسي والاشتراكي، هارولد لاسكي، ترجمه: عبد الرحمن صدقي، مراجعة: علي أدهم، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط ١، ص ٥.

فقد كان لكل مذهب من تلك المذاهب خلفيات فلسفية، نتجت عنها آراء فكرية، ومبانٍ منهجية، ومواقف ميتافيزيقية، ونظرة إلى الدين وإلى شؤون الحياة، تختلف فيها باختلاف أسسها، وتتنوع فيها بتنوع بواعثها، وإن كان الأدب هو الناطق باسمها، والمعبر عن رسمها.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

من أبرز الأمور التي تبرز أهمية البحث، ما يلي:

- ١ - أن لتلك المذاهب اتجاهات فكرية، ورؤى بنت عليها آراء فكرية، حقها أن تبرز، ويهتم بدراستها المختصون غاية الاهتمام.
- ٢ - خفاء الاتجاهات الفكرية لهذه المناهج الأدبية، حيث كان لها اتجاهات فكرية، ورؤى ميتافيزيقية، وتيارات منهجية، ومبانٍ فكرية، وكانت تلك المذاهب الأدبية والنقدية هي الناطقة باسمها، والمعبرة عن رسمها.
- ٣ - أن تلك المذاهب والمناهج هي المؤثرة في حقيقتها في عالم اليوم، فهو بحث معاصر، ينظره الأدباء والنقاد، وتتعايش معه المجتمعات، بعلم وبدون علم أيضًا.
- ٤ - أن هناك علاقة وطيدة بين علم العقيدة والأدب، حيث أصبح لتلك المذاهب مواقف مختلفة من الدين، وما يتعلق به.

حدود الدراسة:

حاولت في هذه الدراسة إلقاء الضوء على التيارات الفكرية، للواقعية والماركسية والسريالية، وإبراز آرائها الفكرية، حتى يتسنى النظر إلى أفكارها، فلها تيارات فكرية تتعلق بنظرتها إلى الدين والوجود والكون، ومن الأهمية بمكان دراسة آرائها بعيد عن تداخلاتها الأدبية وتماهاياتها اللغوية.

ووجه اقتصار هذه الدراسة على الواقعية والماركسية والسريالية، هو تراتبها الزمني، واتساقها الفكري.

فالواقعية والماركسية تنطلقان من منطلق مادي - كما سيأتي - ثم ظهرت السريالية كثورة ضد ما تقدمها من مناهج، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، التزم الباحث بتقديم بحثه حسب

معايير المجلة التي لا يتسع الكلام فيها عن كل التيارات الفكرية التي حدثت بعد ذلك في بحث واحد.

مشكلة البحث:

تحدث هذه الدراسة عن أبرز التيارات الفكرية للمذاهب الأدبية التي ظهرت في عصر الحداثة في المفاهيم الأوروبية، وهذه التيارات الفكرية قد رافقت تلك المذاهب الأدبية منذ نشأتها، وكان لها مفاهيم وآراء لا زال أثرها إلى اليوم.

ولذلك فقد حاولت هذه الدراسة الإجابة على هذه الأسئلة التالية: ما هي المذاهب الأدبية التي ظهرت في عصر الحداثة؟ وهل هي مقتصرة على الأدب أم لها تيارات فكرية رافقتها منذ نشأتها؟ وما هي أبرز تلك التيارات؟ وما أبرز أسباب نشأتها؟ وما هي العلاقة بين الواقعية والماركسية والسريالية؟ وما هو وجه تتابع ظهورها؟ وهل بينهم اتفاق أو اختلاف في مبانيها الفكرة؟

الدراسات السابقة:

من الناحية الأكاديمية لم يطلع الباحث -حسب حدود اطلاعه- على دراسة مستقلة درست الجوانب الفكرية للمناهج الأدبية المعاصرة، أما المؤلفات التي ألفت في هذا الجانب فهناك بعض الكتب ألفت في المناهج الأدبية، ولكنها تنطلق من منطلق لغوي، وبعضها كان يدرس المناهج النقدية ويدرج معها أحيانا المناهج الأدبية، فقد كان معظمها يدرسها من جانبها الأدبي أو النقدي مع تعريجه أحيانا على النواحي الفكرية لهذه المناهج.

أما هذه الدراسة فقد اهتمت بذكر الاتجاهات الفكرية التي تضمنتها المناهج الأدبية المعاصرة مبتعدة عن الخوض في المسائل الأدبية واللغوية البحتة وهذا ما تختص به هذه الدراسة، والفرق بينهما لا يخفى، فهذه الدراسات رغم أهميتها والاعتراف بالفضل لأصحابها، إلا أن جلّ موضوعاتها كانت في المناهج النقدية دون الأدبية كالتاريخية والاجتماعية، والنفسية، والبنوية، والتفكيكية، وذلك مثل كتاب مناهج النقد المعاصر لصالح فضل فرغم ذكره لبعض المناهج الأدبية إلا أن ميدانه كان من الجانب الألسني وتطورات اللغوية رغم ذكره لبعض التيارات

الفكرية دون التركيز عليها. وكتاب مناهج النقد الأدبي، لوليد قصاب فهو يختص بالمناهج النقدية دون الأدبية في مجمله.

أما المؤلفات في المناهج الأدبية فمن أبرزها كتاب المدارس التاريخية الحديثة، للهادي التهامي، وهو قد جمع بين المذاهب النقدية والأدبية حيث ذكر المناهج النقدية وأدرج ضمنها المناهج الأدبية كالمناهج الرومانسي.

وكتاب المذاهب الأدبية لدى الغرب لعبد الرزاق الأصفر حيث ذكر جملة من المذاهب الأدبية وكذلك النقدية وكان التركيز فيها على النواحي الأدبية والألسنية رغم تعريجه على بعض النواحي الفكرية أما هذه الدراسة فقد اختصت بذكر التيارات الفكرية لكل منهج على حدة متجنباً كثيراً من المنعرجات اللغوية والأدبية والألسنية وهناك دراسات أخرى أثرت ألا أطيل البحث بذكرها انطلقت من منظور لغوي وألسني بحث في دراسة هذه المذاهب.

خطة البحث:

المبحث الأول: الواقعية وأبرز اتجاهاتها الفكرية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريفها ونشأتها وعوامل ظهورها.

المطلب الثاني: الاتجاهات الفكرية للواقعية.

المطلب الثالث: أقسام الواقعية والاتجاهات الفكرية.

المبحث الثاني: الماركسية، وأبرز اتجاهاتها الفكرية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الماركسية ونشأتها وعوامل ظهورها.

المطلب الثاني: الاتجاهات الفكرية للمذهب الماركسي.

المبحث الثالث: السريالية وأبرز اتجاهاتها الفكرية، وفيه ثلاثة مطالب:

تمهيد: الدادية وأثرها في نشأة السريالية.

المطلب الثاني: تعريف السريالية ونشأتها وعوامل ظهورها.

المطلب الثالث: الاتجاهات الفكرية للسريالية.

منهج البحث:

سرت في هذا البحث على المنهج التالي:

- ١- سلكت طريقة المنهج الوصفي لوصف التيارات الفكرية، التي ترافقت مع ظهور المناهج الأدبية التي تبنتها، وكذلك طريقة المنهج النقدي للتعقيب، بنقد ما يحتاج إلى ذلك.
- ٢- سلكت سبيل الترقيم أو التعداد في ذكر تلك التيارات، نفورًا من سبيل السرد الممل للقارئ العزيز.
- ٣- ختمت البحث بفهارس تحتوي على معلومات المراجع الواردة في صلب البحث.
- ٤- في ذكر الأعلام، حوت هذه الدراسة كثيرًا من الأعلام، ورغبة في عدم تضخيمها، أكتفي بذكر عمل العلم الحالي ومقره إن كان معاصرًا في المتن، أما إن كان غير معاصر فأكتفي بذكر سنة وفاته، بالإضافة إلى ما سبق، وأترجم لمن تترتب على ترجمته معنى زائد، يزيد الموضوع وضوحًا، أو يتوقف على ترجمته تطور مهم، وأكتفي بذلك عند ذكره لأول مرة.



ملهيد

الأسس الفكرية للمناهج الأدبية الغربية:

المنهج في اللغة هو الطريق الواضح^(١) وهو مشتقة من المادة نهج، النون والهاء والجيم أصلان متباينان بمعنى الطريق الواضح^(٢) فهو الطريق والسييل، والوسيلة التي يتدرج بها للوصول إلى هدف معين.

وأما في الاصطلاح الذي عني به تسمية المناهج الأدبية الغربية، فهي مشتقة من الكلمة الفرنسية Méthodos وهي تعود إلى الكلمة اليونانية Méta، وقد كان يستعملها أفلاطون وأرسطو بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة^(٣).

ويعرّف المنهج بأنه: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة^(٤).

ومن المعلوم أن تلك المناهج الأدبية هي انعكاس لفلسفات معينة، تعكس نفسها على مظاهر الحياة الأخرى، ومن ذلك الأدب، حيث تتجلى فيه انعكاسات تلك الفلسفة، فمثلاً المذهب الواقعي هو نتاج الفلسفة المادية، والماركسية على المستوى السياسي هي تجلّ لتلك الفلسفة المادية، والاشتراكية كانت تطبيقاً اقتصادياً للماركسية، أما التيار النقدي الماركسي فليس سوى تجسيد للماركسية، التي هي تجلّ للفلسفة المادية الجدلية ولذلك نسب إليها وهذه المادية الجدلية تعتمد على المادية التاريخية.

يقول مؤلفو كتاب -أصول الفلسفة الماركسية- "توسع ميدان المادية التاريخية، ميدان مبادئ المادية الجدلية، فتشمل المجتمع.. وتكون المادية الجدلية التاريخية، الأساس النظري للاشتراكية العلمية أو الشيوعية"^(٥).

(١) لسان العرب، مادة نهج.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، نهج.

(٣) انظر: مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ٣، ١٩٧٧ م، ص ٣.

(٤) نفس المرجع، ص ٤-٥.

(٥) أصول الفلسفة الماركسية، جورج بوليتزر، جي بيس، موريسكاين، تعريب: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ص ١٤.

والمقصد أن تلك المناهج كانت انعكاسات لفلسفات مرت على الذهنية الأوروبية في العصور الحديثة، وأصبحت تلك المناهج تظهر بوصفها حاملة نسق وفكر، وحالة اجتماعية وتاريخية وثقافية، تمخضت في النص الأدبي.

الدكتور تيري ايجلتون^(١) في كتابه المشهور "النظريات الأدبية Literary Theory" يثبت أن النظريات الأدبية، تطور طبيعي بالتاريخ السياسي والعقائدي، حيث يقول فيه: "إن تاريخ النظرية الأدبية الحديث، هو جزء لا يتجزأ من تاريخنا السياسي، والعقائدي، فقد كانت النظرية الأدبية على صلة قوية بالمعتقدات السياسية، والقيم العقائدية، ففي الواقع النظرية الأدبية ليست موضوعا للبحث الفكري في حد ذاتها، بقدر ما هو منظور معين، يمكن من خلاله عرض تاريخ عصرنا"^(٢).



(١) وهو أديب انجليزي معاصر يعمل حاليا أستاذ قسم الأدب في جامعة لانكستر. وكتابه هذا طبعته مطبعة جامعة مينيسوتا ثم طبعته مطبعة الكونغرس.

(2) Literary Theory, Terry Eagleton, The University of Minnesota press, Fourth printing, 2003, p.169

المبحث الأول

الواقعية وأبرز اتجاهاتها الفكرية

المطلب الأول: تعريفها ونشأتها وعوامل ظهورها.

تعتبر الواقعية إحدى أكثر المصطلحات النقدية اتساعاً^(١) وتعني كلمة الواقعية Realism في حقيقتها نسبة إلى الواقع، وهو الوجود حقيقة في الطبيعة والإنسان.

وهي كما يعرفها الفيلسوف المجري الماركسي جورج لوكاش (١٩٧١م): "انعكاس صادق للعوامل الحاسمة الهامة في عملية الحياة"^(٢) فهي تعتقد أن الواقع هو الذي يتحكم في الأبنية المعرفة بشكل مطلق.

أو يمكن تعريفها بأنها هي المذهب الذي يستقي عناصره من الطبيعة مباشرة، فهي تدرس الموضوع كشيء قائم بذاته، وتصويره، وتفسيره، وسبر أغواره.

والواقع نوعان: حقيقي، وفني:

والحقيقي: إذا ما وصفه الإنسان كان صادقاً وأميناً؛ لموافقته ما هو موجود وكائن في الخارج.

والثاني: هو المعول عليه في الأدب، وهو يقوم على خلق إبداعي لواقع لا يشترط أن يكون حقيقياً بحذافيره، صحيح أنه يغترف من الواقع عناصره، لكنه يحور ويزيد ويُنقص ويختلق، ليأتي بنسخة محاكية للواقع، ممكنة الوجود والتصور^(٣).

هذه هي حقيقة لفظة الواقعية، ولكن هل هذا هو المراد في المذهب الواقعي؟

وفي الواقع، فقد وافقت الواقعية مدلول الكلمة في جانب، ولكنها انفردت في جانب آخر عن نفس هذا المدلول.

(١) موسوعة المصطلح النقدي، ديمين كرانت، ١٥/٣.

(٢) دراسات في الواقعية، جورج لوكاتش، ص ٧.

(٣) انظر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، عبد الرزاق الأصفر، ص ١٣٥، ١٣٣.

فالواقعية وإن كانت تعتمد على الواقع، في محاولة تفسيره وكشف غموضه، ولكنها تنظر إلى الواقع بمنظار مملوء بالتشاؤم، وترى أن ما يبدو خيرًا هو في حقيقته عكس ذلك. ومن هنا "فهي تنظر إلى الأخلاقيات الإنسانية والسلوكيات العالمية والقيم المثالية الخيرة، على أنها قشور بسيطة، تخفي وراءها القشور الوحشية والشر، وعلى سبيل المثال: فدافع الشجاعة في الحقيقة، هو اليأس من الحياة"^(١). فهي تفسر الأعمال الخيرة بأنها خيرة في الظاهر، ولكنها في باطنها وبواعثها ممتلئة بالشرور، فتفسر كل تلك الأعمال تفسيرًا تشاؤميًا هو ديدن الواقعية.

١ - نشأتها:

الواقعية في نشأتها التاريخية، دعوة بدأت في أواسط القرن التاسع عشر، كردّ فعل على المنهج الرومانسي^(٢)، وترتيبها في سلسلة الدعوات التي نشأت بعد عصر النهضة، يأتي بعد المنهج الكلاسيكي^(٣) والمنهج الرومانسي. ويعدُّ الفيلسوف فولتير^(٤) أول من مهّد لها، وأما منظّرُها الحقيقي، فهو الناقد الفرنسي شانفلوري ١٨٨٩ م، الذي أقرَّ مصطلح الواقعية، وبلور أسسها^(٥).

(١) المذاهب الأدبية، محفوظ كحوال، ص ١١٩.

(٢) للرومانسية معان متفاوتة لا تجتمع على معنى واحد، فيعرفها بعضهم بأنها: مرض، اضطراب، خيال، هياج، وجهة غرور، إحياء باللامحدود، عودة إلى الطبيعة، متوحش ريفي طفولي، إهمال الماضي، سوداوية. انظر: الرومانسية في الأدب الأوروبي، بول فان تيغيم، ص ٣٥.

(٣) وهو يطلق على نوع من الأدب ظهر في القرن السابع عشر في فرنسا بنوع خاص، واستمر إلى أواخر القرن الثامن عشر، وكذلك الإنجليز بين ١٦٦٠ - ١٧١٤ م، وامتد إلى كل أوروبا، وقد رجعوا فيه إلى المذاهب، والمناهج القديمة، والأعمال المنتجة، والمعايير النقدية، التي تحاكي الفترات الكلاسيكية في اليونانية واللاتينية. انظر: مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ص ١٨٣، وانظر موقع الموسوعة البريطانية Encyclopaedia Britannica.

<https://www.britannica.com/art/classical-literature>.

(٤) وهو فيلسوفٌ رومانيٌّ في ظاهره (١٦٩٤ - ١٧٧٨ م)، مع أن له أقوالاً تُوحى بأنه يعتنق الإلحاد المطلق، وقد كان من أعدى أعداء الكنيسة آنذاك، وقد شنَّ هجومًا كاسحًا على رجال الدين. انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ص ٣٠٤.

(٥) انظر: المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، فان تيغيم، ص ٢٤٠، ودراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس العقاد، ص ٢٧، وانظر: في الأدب والنقد. د. محمد مندور، ص ١٠٨.

فالواقعية نشأت كرد فعل على الرومانسية، ولذلك خالفت فكرتها التي أغرقت في الخيال، وخالفت الكلاسيكية أيضًا، التي أوغلت وبالغت في تمجيد الاعتبار للإنسان بمجموعه ونظرته إلى الحياة.

فنشأت الواقعية مهتمة في تصوير الواقع ونقله، مع مزيد من التصورات الدخيلة الممكنة الوجود، غير أنها نظرت إلى الإنسان المتشخص لا الكلي، كما فعلت الكلاسيكية، فساهمت في تعميق النزعة الإنسانية التي نشأت قبل ذلك، أو بعبارة أخرى، عززت الفكرة الفردانية التي نشأت مساوقة لها، وسيأتي مزيد من إيضاح عوامل ظهورها فيما يلي:

٢ - عوامل ظهورها:

من أبرز أسباب نشأة المذهب الواقعي ما يلي:

١- نشأت الواقعية كرد فعل على الموقف الديني من تفسير الظواهر ووجود الأشياء، فالواقعية تضادت مع التصورات الميتافيزيقية والمثالية، التي جاءت على ألسنة المفكرين، وأقلام الفلاسفة، على مختلف اتجاهاتهم - كما تبين -.

فهي أرادت أن تعيد الاعتبار للعقل الإنساني، وتحريره من القيود اللاهوتية، وتفسيراته المعقدة - في نظرهم - وإحلال التصوير الواقعي، الذي يمكن للإنسان الوصول إليه، بل وتفسيره، وسبر أغواره، والتقاط معانيه، وتأسيس مبانيه.

٢- نشأت الواقعية كرد فعل على الرومانسية، التي أوغلت في الخيال، والأوهام، والهواجس، والأحلام، والانطواء على الذات، منزوية في الأبراج العاجية، بعيدة عن الواقع لحياة الإنسان، وشجونه، وشؤونه، في صراعه اليومي ضمن مجتمعه^(١).

يتحدث المفكر المصري المعروف عباس محمود العقاد (١٩٦٤م) عن هذا الجانب فيقول: "هذه الدعوة الرومانسية أو المجازية، أفرطت وأصابها ما يصيب كل إفراط من رد الفعل وحب التغيير، فكان رد الفعل هو الدعوة الواقعية أو الريالزم - ويقصد به المصطلح الإنجليزي للواقعية وهو Realism، أي الواقعية - وهي مفهومة على هذا الوجه في نشأتها التاريخية.

(١) انظر: المناهج الأدبية الكبرى في فرنسا، فان تيغيم، ص ٢٤٠.

فإذا أردنا أن نعرف أسباب نشأة دعوة الواقعيين، فعلينا أن نعرف العيوب التي أرادت تغييرها، من دعوة الرومانسيين في دور الإفراط والانحدار، وهذه العيوب تجتمع في مأخذين ظاهرين: أحدهما: حب التجميل، والآخر: ظهور الطابع الشخصي المفرط في الكلام المنظور والمنثور^(١).

ويقصد بحب التجميل: هو بعدهم عن الواقعية، وإغراقهم في الخيال، وعدم ممارستهم للدنيا المحسوسة كما يمارسها الأحياء، بما فيها من جمال وقبح.

والمراد بظهور الطابع الشخصي المفرط: هو اهتمامهم بالنزعة الفردية، والبعد عن النزعة الجماعية لمفهوم الإنسان، مما يسهم في الإخلال بالحقيقة العلمية، فيصبح الكلام موجهاً حسب أهواء الكاتب، لا على أسس علمية.

٣- مما أسهم في نشأة الواقعية كذلك، هي ثورة التقدم العلمي والصناعي، والإنجازات والكشوفات الهائلة في مجالات العلوم؛ كالبيولوجيا، وعلم الطبيعة، والوراثة، والدراسات التجريبية، وغيرها.

فالواقعية قد ظهرت مع العلم الحديث في إبان نشأته واندفاعه، فأرادت أن تكون الكتابة كلها على نسق الكتابة العلمية، مجردة من الطابع الشخصي، والنزعات العاطفية، مقيدة بالصور التي تشبه الصور الشمسية، كأنها من صنع الآلة، لا تسلم من الجمود والجفاف^(٢).

٤- بروز الديمقراطية التي أسهمت في إعادة الاعتبار للطبقات المهمشة والفقيرة، وعدم الاختصار على الطبقات الأرستقراطية أو البرجوازية - في ظاهرها -.

فالواقعية اتجهت للإنسان بشكله المتشخص لا الكلي، كما فعلت الكلاسيكية^(٣)، وحاولت نقل واقعه كما هو، ولذلك أسهمت الديمقراطية في بروز الواقعية، فكلاهما يشتركان في إرادة نقل تطلعات الفرد كما يمليه الواقع.

(١) دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس محمد العقاد، ص ٢٨.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٩.

(٣) انظر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، عبد الرزاق الأصفر، ص ١٣٤. وانظر: في الأدب والنقد. د. محمد مندور، ص ١٠٩.

٥- من الروافد التي أسهمت في بزوغها أيضًا، هي تأثيرها بالداروينية، وتأثرها بالفلسفة الوضعية - كما سيأتي -.

٦- واكب ظهور المذهب الواقعي ظهور مذهب آخر في فرنسا، كردّ فعل أيضًا على الرومانسية، ألا وهو المذهب البرناسي، الذي أراد فصل الآداب عن الأخلاق. فلا شأن له إطلاقًا بالأخلاق والقيم، ويرى أن الأدب والفن غاية في ذاته، لا وسيلة للتعبير عن المشاعر، وقد تبنى نظرية الفن للفن، التي تجسدت على يد تيوفيل غوتييه (١٨٧٢م) في أواخر القرن التاسع عشر^(١).

كما دعت البرناسية إلى وجوب تحرر الأدب من القيم الدينية أيضًا، وليس من مهمته ترسيخ القيم، أو الدعوة إلى الأخلاق، أو تسخيرها لقيم الخير، أو حتى مسايرته للدين، فالأدب همه الوحيد هو نحت الجمال، ورسم الصور والأخيلة؛ من أجل بعث المتعة والسرور في النفس^(٢).

فالبرناسية صبت اهتمامها على الأدب فقط، الأدب ولا شيء غير الأدب، رغم بعدها تمامًا أو عدم اكتراثها بأي أدب، وهذه النظرة تسير أو تماهي بعض نظرات الواقعية في هذا الجانب.



(١) انظر: في الأدب والنقد. د. محمد مندور، ص ٣٠. وانظر: المذاهب الأدبية، محفوظ كحوال، ص ١١٩. والجمالية الجديدة وتسمى New Aesthetic Theory، هي نظرية نقدية أدبية، جاءت لتعيد الاعتبار لمفهوم الفن والجمال، بعد أن اهتم النقد الأنجلوسكسوني بالتاريخ، والثقافة، والسياسية، والمجتمع، والأيديولوجيا، والهيمنة الاستعمارية. انظر: النظرية الأدبية، ديفيد كارتر، ص ١٥١.

(٢) انظر: في الأدب الإسلامي، وليد قصاب، ص ٨٧.

المطلب الثاني

خصائص الواقعية

- ١- الواقعية مذهب أدبي فكري مادي، يقتصر تصويره للحياة، والتعبير عنها على عالم المادة، ويرفض عالم الغيب والإيمان بالله، ويصور الإنسان بالحيوان الذي تسيره غرائزه، لا عقله، ولا ضمير له، ولا قيم، ولا مبادئ، ولا عناية إلهية للإنسان.
- ٢- تنجح الواقعية إلى البعد عن الزخرفة في الألفاظ، وعن لغة الطبقات الأرستقراطية، حيث تبنت لغة شارع المجتمع الشعبي.
- تقول موسوعة المصطلح الأدبي: "كان الواقعيون يناهضون التعقيد والوعي، لذلك غدت البساطة والإخلاص في نظرهم من المعايير ذات القيمة.. تلزم الواقعية نفسها بتمثيل الوسط الاجتماعي والعالم المعاصر، بشكل دقيق كامل مخلص، لذلك يجب أن يكون هذا التمثيل يسيرًا قدر الإمكان؛ ليقدر كل امرئ على فهمه"^(١).
- ٣- استلهمت الواقعية أفكار ميكافيلي القديمة، وتأثر بها الواقعيون، وعمدوا إلى ترجمة أفكاره إلى اللاتينية، وذاعت أفكاره بين الناس، وتولاها الكتاب، واستفادوا منها، فتقمصت شخصياتهم أفكاره.
- حيث ركزت أفكاره على ميل الإنسان إلى الشر، وتطبعه به، وهاجم الديانة المسيحية، ومجّد الديانات القديمة، وقارن كذلك بين الإنسان والحيوان، وزعم أن كل مخلوق نصفه إنسان ونصفه الآخر حيوان، فلا بد للإنسان أن يستفيد من نصفه الآخر، ولا سيما إذا كان كالأسد، أو الثعلب، ودعا إلى التآمر والخيانة.
- فكرّس بذلك اللاأخلاقية، وأباح الوصولية، وكأن المجتمع غابة من الخديعة، تتربص به الأرواح المتآمرة من كل صوب، لا صمود للقيم، ولا شأن للضمير، لا أخوة ولا أبوة، كما أنكر العناية الإلهية، ودعا الإنسان إلى أن يتكل على نفسه، لا على الله.

(١) موسوعة المصطلح النقدي، (الواقعية، الرومانسية، الدراما والدرامي والحبكة) المجلد الثالث، ص ٥٦.

ويعدُّ ميكافيلي هو أول من قال إن مصالح الكيان السياسي لها أولوية على الأخلاق والوصايا الأخلاقية.

واعتبر ميكافيلي أن الكنيسة هي رأس الشر والفساد، وقال: " كلما كان الناس أقرب إلى كنيسة روما، وهي رأس ديننا، كانوا أقل تدينًا".

ولذلك كان ميكافيلي يفضل الوثنية على المسيحية، ويرى أن المسيحية أوهنت من عزيمة الإنسان، وأسلمت الدنيا لأهل الجراءة والعنف.

ولذلك كان ميكافيلي مكرسًا لأخلاق السفستائيين، حيث يعتبر أن العدالة هي سيادة القوي على الضعيف، وإذعان الضعيف، وأن القانون من اختراع الضعفاء لحمايتهم^(١).

هذه هي مجمل الأفكار الميكافيلية التي اقتبسها الواقعيون، وقد أثرت تأثيرًا كبيرًا في نظرهم إلى الوجود، فهمهم نقل الواقع كما هو، لكن لبسوا مناظير سوداوية ميكافيلية في نقل الواقع، فجاء واقعًا مشوهًا هجينًا.

٤ - تلتقي الواقعية مع الوضعية في رفض الغيبيات، وهذا من جذور الواقعية، فهي ترفض كل ما هو غيبي، وتقتصر على عالم المادة والحس.

وقد أرجع رائد الفلسفة الوضعية أوجست كونت جميع الظواهر إلى قوانين ثابتة، وأنَّ غايتنا كشف هذه القوانين، ويرى عدم الحكم بغير التجربة والمنهج الرياضي، وأن كل مدلول في الطبيعة هو قابل للبحث، والحكم عليه بالصواب والخطأ، وأن العلم الطبيعي المادي ينبغي أن يحلَّ محلَّ اللاهوت.

وقد استبدل كونت بجميع الأديان دينًا جديدًا أسماه "الحضارة الإنسانية"، زاعمًا أن "الدين" إنما هو من مخلفات المرحلة البدائية والخرافية، والتي تطورت الإنسانية منها إلى المرحلة

(١) انظر: أقوال وآراء ميكافيلي في: الغرب والعالم، كافين رايلي، ص ١٣، ١٦. والفلسفة الغربية، برتراند راسل، ص ٢٨. وتاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص ٩٣، والشر السائل، العيش مع اللابديل، زيجمونت باومان وليونيداس دونسكيس، ص ٥٧. والدراما ومذاهب الأدب، د. فايز ترحيني، ص ١٠٦.

المتافيزيقية، على يد فلاسفة اليونان، ثم تطورت منها إلى المرحلة الوضعية والعلمية، على يد النهضة الأوروبية^(١).

٥- تستمد الواقعية تصورها من النظرة المادية الحيوانية للإنسان، القائمة بدورها على الداروينية^(٢).

هذه مجمل أفكار الواقعية، فهي قد جمعت شتات أفكار متفرقة من مختلف النظريات، وأدرجتها في مبانيها، ظناً منها أن ذلك يساهم في بروز فكرة الواقعية، التي حاولوا من خلالها إرساء أفكارها.



المطلب الثالث

أقسام الواقعية واتجاهاتها الفكرية

الواقعية كما يقسمها النقاد تنقسم إلى اتجاهات، ولكل اتجاه مبانيه الفكرية التي يرتكز عليها، مع بعض الاختلاف فيما بينها في بعض المبادئ والأهداف. وهذه الاتجاهات لدى أقسام المذهب الواقعي هي كما يلي:

أولاً: الواقعية النقدية: وتسمى الواقعية الأم، أو الأوروبية، أو المتشائمة، أو الناقدة، ويعدّ الناقد الفرنسي بلزاك ١٨٥٠م، أشهر ممثل للواقعية النقدية.

والواقعية النقدية تقرر أن مهمة الفن والأدب تتمثل في نقد الحياة بمفهومها الواسع، ويعرفها الناقد الأمريكي المعاصر رينيه ويليك، بقوله: "هي التمثيل الموضوعي للواقع الاجتماعي المعاصر"^(٣).

وهذا التعريف -من وجهة نظري- تلميع لحقيقة الواقعية النقدية، وتحسين لمظهرها المتشائم؛ فالواقعية النقدية تهتم في حقيقتها بنقد المجتمع، والتركيز على جوانب الشر والجريمة،

(١) انظر: The Fontana Dictionary Of modern thought 198, P488. ودراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، جورج كانغيلام، ص ١٣٥، والموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، وج. أو. أرمسون، ص ٢٦٦.

(٢) انظر: في الأدب والنقد. د. محمد مندور، ص ١٠٩.

(٣) مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ص ٢٦٤.

والميل إلى التشاؤم، واعتبار الشر عنصراً أصيلاً في الحياة، فهي ترصد الواقع وتشوهات المجتمع، دون أن تسعى إلى تدبيره، أو حلّ مشكلاته - كما سيأتي -.

وقد تبلورت الواقعية النقدية في منتصف الخمسينات من القرن العشرين، بعد الحرب العالمية الثانية، وتتمثل في نظرية الالتزام الوجودية، والتي تمثلت في قضية علاقة المبدع بالواقع، فلا يستطيع أن يتجاهل أهم القضايا الجوهرية التي تواجه مجتمعه، في صراعاته الداخلية والخارجية والوجودية^(١).

الاتجاهات الفكرية للواقعية النقدية:

من أبرز الاتجاهات الفكرية للواقعية النقدية ما يلي:

- ١ - الثورة على الدين: ثارت هذه الواقعية على التقاليد الإقطاعية والتعاليم المسيحية، وذلك قد لا يعدو في الحقيقة أن يكون جزءاً من الثورة على طغيان الكنيسة، وظلم الإقطاع، ولكنها بعد ذلك بثّت روح الكراهية للدين، وهاجمت الدين ورجال الدين في الإنتاج الشعري والفني، وأحياناً في كوميديا، مثل كوميديا دانتي، وكذلك مسرحيتا مولير "المتزمت" و"طرطوف"، تصور فيها نفاق رجل الدين وجشعه^(٢).
- ٢ - الاهتمام بقضايا المجتمع ومشكلاته، لا سيما ما يرى أنه شر وفساد، فهو ينتقده بإظهار تناقضاته وعيوبه، وعرضها على الناس، كما أن هذا الاتجاه يتميز بالتشاؤم، إذ يرى أن الشر عنصر أصيل في الحياة، فلا بد من إبرازه في العمل الأدبي؛ للكشف عن حقيقة الطبيعة البشرية فقط.

أما تغيير الواقع أو إصلاحه فليس من اختصاص هذا الاتجاه؛ لأنه يرى أن الأديب ليس مصلحاً اجتماعياً يبحث عن إجابات وحلول لمشاكل المجتمع، ولكنه يكتفي بإلقاء الأسئلة التي تكشف الواقع وتعرّيه، مهما كانت الحقيقة قاسية ومؤلمة^(٣).

(١) انظر: مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، ص ٣٤.

(٢) انظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن الميداني، ص ٣٦٨.

(٣) انظر: الأدب ومذاهبه الكلاسيكية الإغريقية إلى الواقعية الاشتراكية، محمد الشوباشي، ص ١٢٢.

يقول الدكتور محمد مندور: "ولما كان الكشف عن أسرار الواقع وحقائقه والتعمق في الفهم، خليقاً بأن ينتهي بالمرء إلى التشاؤم، وإساءة الظن بالناس والأشياء، فقد كان من الطبيعي أن ينزلق المذهب الواقعي إلى معناه الاصطلاحي، الذي يفهم منه الآن، وهذا المعنى هو الاتجاه بالأدب نحو الكشف عن الشرور والآثام الكامنة في النفس البشرية؛ فعندما يتحدث النقاد عن الواقعية، إنما يقصدون قسوتها على البشر، ورد تصرفاتهم إلى بواعث سيئة لا تشرف، حتى لو اتخذت مظهرًا براقًا.

وقد كتب الناقد الفرنسي بلزاك رواية جمعها في بحر تخيلاته من مئة وخمسين صفحة، وصور فيها كافة المهن والأوضاع الاجتماعية والطبائع المتباينة، وأطلق عليها الكوميديا البشرية، وفيها نجد البخل، والخسة، والوصولية، والخداع، والنفاق، والوقاحة"^(١).

٣- يرسى هذا الاتجاه فكرة حيادية المؤلف، أي: العرض والتحليل وفق واقع الشخصية وطبيعة الأمور، وبشكل موضوعي، لا وفق معتقدات الكاتب، ومواقفه السياسية، أو الدينية، أو المزاجية، أو الفكرية، أو القيمية، -هذا ما تتظاهر به الواقعية النقدية-. ولذلك تشيع فكرة أن الكاتب "يدلي بشهادته حسب منطق الحوادث، ومبدأ السببية، والضرورة الحتمية، وليس كما يهوى ويريد؛ فالكاتب لا يخاطب القارئ مباشرة، بل يثير المشكلة، وينسحب تاركًا الحكم للقارئ بعيدًا عن أساليب الخطابة والوعظ والمحاضرة والتربية"^(٢).

ولكن في خفايا الواقعية، هي تدعو إلى تدمير سلطان الكاتب على عمله الأدبي؛ فالكاتب ليس له السطوة على وصف واقع المجتمع، بل هو يسجل ما يمليه عليه المجتمع، كما يقول الكاتب الفرنسي بلزاك (Balzac 1850م) ولذلك هي تدعو إلى اللاشخصية وإلى اختفاء الكاتب، ويكون فقط "مجرد أداة سلبية، ومجرد سكرتير"^(٣).

(١) انظر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، عبد الرزاق الأصفر، ص ١٤٠.

(٢) انظر: نفس المرجع، ص ١٤٠.

(٣) الوعي والفن، غيورغي غاتشف، ص ٢٦٤.

ووصف الكاتب في الواقعية النقدية بأنه مجرد أداة سلبية، وصف يروق لي كثيرًا، فيما أنه لا ينظر بغير النظرة التشاؤمية، ولا يتكلم سوى في الجريمة والشر، ولا يكتب بمنظوره، بل بما يوافق المجتمع، وما يمليه عليه، وإن ادعت الواقعية أن الكاتب يكتب بنظرته هو لا بنظرة المجتمع، فلماذا تخفيه وتلغي شخصيته؟ أمر محير.

٤ - كما أن هذا الاتجاه يجعل لكل ظاهرة سببًا، وهو ما يسمى عندهم بالتحليل، فهو يبحث عن العلل والأسباب والدوافع والنتائج، فلكل ظاهرة اجتماعية سبب.

فالظاهرة الاجتماعية كالظاهرة الطبيعية، تخضع لمبدأ السببية، فهناك قانون يختفي وراء الظواهر والأسباب، والأديب الواقعي يبحث عن السبب، ويوجه النظر إليه^(١)، وهذا بسبب تأثرها بالفلسفة الوضعية.

٥ - تنظر الواقعية النقدية في حقيقتها نظرة سوداوية، تقوم على افتراض الشر في الواقع، ومن خلال هذا الشر تبني النظرية الواقعية، مع بعدها ومناقضتها تمامًا للجانب الروحي والديني.

فهي كما يقول -العقاد- يصورون الدنيا كأنها ليل مطبق الظلام، والواقع المحسوس يرينا بأيسر نظرة، أن الدنيا ليل ونهار، وأن ليلها لا يخلو من ضياء، ونهارها لا يخلو من غمام وغطاء. يصورون الحياة كأنها جحيم، ليس فيه غير الزبانية والمعذنين، والواقع المحسوس يقول لنا كل يوم، أن الدنيا ليست بالجحيم، وليست بالفردوس المقيم، ولكنها دنيا تستحق منا أن نجاهد ونسعى، ولو كانت جحيمًا مطبقًا لما كان فيها معنى للسعي والجهاد، يصورون الناس كأنهم لا يحلمون ولا يتخيلون، وليس من الواقع أن نسقط الأحلام والأخيلة من حسابنا؛ لأن الواقع الذي يراه اليقظان بكلتا عينيه المفتوحتين، أن الناس يحلمون ويتخيلون، يصورون الرذيلة وكأنها حكر لطائفة واحدة، هي الجانية، وغيرها من الطوائف مجني عليها.

والواقع أن بني آدم جميعًا يُصابون ويصيبون، ويجنون من الرذيلة، وتجنّي عليهم الرذيلة، ويكيلون بالكيل الذي يكال لهم في السر والعلانية، فليس فيهم ذرية ملائكة، ولا ذرية شياطين.

(١) انظر: نفس المرجع، ص ١٤٠.

وأعجب العجب أن يكون الواقع حجتهم في الصدق والكذب، والحق والباطل، وأن يكون الواقع في الوقت نفسه هو الفساد الذي يجب أن يتغير، وهو الباطل الذي لا يُعول عليه ... فهو مقدس؛ لأنه واقع، وهو لعنة لا يحق لنا أن نواجهها^(١).

ثانياً: الواقعية الطبيعية:

وتسمى أيضاً بالمذهب الطبيعي، وهي فرع للواقعية الأم، ويعد الفيلسوف "زلا"، رائد الواقعية الطبيعية، وقد هاجم الرومانسيين بكل ضراوة، وانتقد توغلهم في البلاغة اللفظية^(٢). ويمكن تعريف الواقعية الطبيعية بأنها: اتجاه أدبي فلسفي، يتفق مع الواقعية في طرحها وفكرها، ويزيد عليها بالتأثر الكبير بالنظريات العلمية التجريبية، حيث دعا إلى تطبيقها وإظهارها في الأعمال الأدبية، ويرى هذا الاتجاه أن الإنسان حيوان تسيّره الغرائز والحاجات العضوية والوراثية، وأما حياته العقلية فهي طفيليات ملتصقة به.

ولذلك ترى أن سلوك الإنسان وفكره ومشاعره، هي نتائج حتمية لبنيته العضوية، ولما تقوله قوانين الوراثة، وأما حياته الشعورية والعقلية، فظاهرة طفيلية، تتسلق على حقيقة العضوية، وكل شيء في الإنسان يمكن تحليله ورده إلى حالته الجسمية، وإفرازات غدده^(٣).

فبهذا التصور تفهم الواقعية الطبيعية الإنسان والحياة، وتعرضهما في الأدب، ومن أبرز الأسس الفكرية للواقعية الطبيعية ما يلي:

- ١ - التزامها بالواقع الطبيعي إلى درجة التزامها بالأمور القبيحة والمقرفة والوضيعة والمكاشفة الجنسية والألفاظ البذيئة، بدعوى أن ذلك من تصوير الواقع الحقيقي.
- ٢ - البعد التام عن الغيبات والميتافيزيقيا، ولذلك هاجمت المنطلقات الدينية، والكنيسة وقساوستها، والحياة الأخروية.

(١) دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس محمود العقاد، ص ٢٩.

(٢) موسوعة المصطلح النقدي، (الواقعية، الرومانسية، الدراما والدرامي، والحبكة) المجلد الثالث، ص ٦٠.

(٣) انظر: مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ص ١٩١، وكواشف زيوف، عبد الرحمن الميداني، ص ٣٤٨.

فالدين عندهم عائق عن التقدم، والإله قد مات، والفقراء والفلاحون لا دينيون -بزعمهم-.

٣- يستخدمون النظريات النفسية؛ كنظرية أوديب الفرويدية، وهي عشق الولد لأمه، ونظرية إليكترا، وهي عشق البنت لأبيها، وكون الجنس هو المحرك الأساس للسلوك، واكتشاف عالم الباطن اللاشعوري.

٤- التفاؤل بسيادة العلم والحب، إلى جانب الديمقراطية والعدل والأخوة والمساواة^(١).

٥- إيمانها بالعلم الطبيعي والتجريبي^(٢).

فالواقعية مذهب يرفض كل ما هو غيبي، ويقتصر على عالم المادة والحس، وتعدُّ الفلسفة الوضعية والتجريبية الرافضة للغيبات، من جذور الواقعية، وهي تنتسب إلى الواقع كردّ فعل على الرومانسية.



(١) انظر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، عبد الرزاق الأصفر، ص ١٤٤.

(٢) انظر: المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، فان تيغيم، ص ٢٤٠.

المبحث الثاني

الماركسية وأبرز اتجاهاتها الفكرية

والمقصود بها هنا، هي الماركسية بصفقتها منهجاً تحليلياً نقدياً أدبياً، وليس بصفقتها مذهباً اقتصادياً لتغيير طريقة المجتمع الاقتصادية، والارتباط بينهما وثيق، ولكن لما كان الثاني ثمرة للأول، حاولت هذه الدراسة إدراج من الأول ما يوصلنا إلى الثاني.

مع العلم بأن غالب النقاد والمختصين يدرجها تحت أقسام الواقعية، أو اتجاهاتها، وذلك بمسمى الواقعية الماركسية، وهذا ما فعلته سابقاً، ثم عن لي لاحقاً أفرادها؛ لأهميتها، وانتشارها، وشراسة منهجها، ولما تحويه من اتجاه يميزها عن الواقعية الطبيعية، والواقعية النقدية، فهي لا تصور الواقع فقط، بل لها رؤية ومنهج معين تسير عليه، وهدف تسعى إلى تحقيقه اجتماعياً، مع وفرة اتجاهاتها الفكرية والعقائدية التي تبتتها، وإفرادها بمبحث مستقل، لا يعني خروجها عن دائرة الواقعية.

ويبدو لي -والله أعلم- أنهم أدرجوها تحت أقسام الواقعية، نتيجة اهتمامها بالواقع الاقتصادي، الذي تعده المحرك الأول للحركات النقدية -بل لكل شيء-.

وقد ظهر مصطلح الواقعية الاشتراكية على يد الفيلسوف الروسي الماركسي مكسيم غوركي ١٩٣٦م الذي يعد أحد أبرز الواقعية الاشتراكية الأوائل^(١).

يتحدث الفيلسوف الماركسي جورج لوكاش ١٩٧١م، عن علاقة الناقد الماركسي بالمجتمع، فيقول: "إن الفلاسفة الحقيقيين بعيدون دومًا، بعد الأرض عن السماء، من تلك اللامبالاة الفاترة الجبانة إزاء مسائل العصر الاجتماعية والسياسية.. إن الناقد الفلسفي كان على الدوام مطلعًا اطلاعًا عميقًا على المسائل الاجتماعية، وفي الغالب سياسيًا وناشرًا"^(٢).

(١) الاشتراكية والفن، ارنست فيشر، ص ١٦٣، ١٤٧.

(٢) دراسات في الواقعية، جورج لوكاش، ص ٢٣٣.

وقد تبلورت النقدية الماركسية كمنهج نقدي على يد جورج لوكاش ١٩٧١م ووالتر بنجامين ١٩٤٠م اللذين ساهما في فهم العلاقة بين المادية التاريخية وبين الشكل الأدبي إلى جانب ريموند ويليامز ١٩٨٨م وتيري ايغلتن ١٩٤٣م وفرانك لينتريشيا ٢٠١١م وفريدريك جيمسون أستاذ الأدب البريطاني المعاصر^(١) من هنا نرى الناقد الماركسي يحوم حول مسائل المجتمع وطرق معالجتها عبر الرؤية الماركسية.



المطلب الأول

تعريف الماركسية ونشأتها وعوامل ظهورها

نشأت الماركسية نتيجة لهزات اجتماعية وسياسية عنيفة، نتجت عن رواج مفهوم الديمقراطية والتحرر، وعن تناقضات الاقتصاد الرأسمالي، وأصبحت الماركسية منذ نهاية القرن التاسع عشر، تمثل الأساس الصلب للتصور التاريخي للأدب والفن^(٢).

فكانت تنظر الماركسية إلى النظام الرأسمالي نظرة تتملكها الحقد والكراهية، وترى فيه - كما يقول الفيلسوف الماركسي جورج لوكاش ١٩٧١م - "تعظيم للأثر الاستعبادي في التقسيم الرأسمالي للعمل.. ويجعل من العامل اختصاصياً محدود الأفق، ومتصلاً في مزاولة عمل واحد"، وترى أنه "يشكل تغاضياً تبريراً عن استعباد الإنسان المخيف والمزيف، وتمزيقه عن قبح الحياة الفظيع، الذي حمله معه تطور القوى المنتجة بصورة ضرورية ومتعاضمة"^(٣).

ولعل أبرز هذه الهزات هي الحركات التي ظهرت على السطح الأوروبي في القرن التاسع عشر، فقد ظهرت الحركات الليبرالية والقومية عام ١٨٤٨م، وثورة العمال الباريسيين المعروفة

(1) Internet Encyclopedia of Philosophy Reviewed Academic Resource. <https://iep.utm.edu>. literary.

(٢) انظر: النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ص ٤٩.

(٣) دراسات في الواقعية، جورج لوكاش، ص ٨-٩.

بكمونة باريس عام ١٨٧١ م، يدلُّ على أن وثيقة حقوق الإنسان الصادرة إبان الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م، لم تعد كافية لتلبية مطالب الشرائح الاجتماعية، وخصوصاً طبقة البروليتاريا^(١). إلى جانب التمايز بين النزعة الليبرالية والديمقراطية في روسيا، وهذه كلها لها انعكاسات في الأدب والنقد - كما يقول الفيلسوف الماركسي جورج لوكاش - ومن البدهي أن عنف هذه الكفاحات وحدة التناقضات في الأدب ما كان يمكن أن تكون أضعف منها في السياسة ذاتها^(٢). فقد انتشرت مبادئ الليبرالية والقومية عقب الثورة الفرنسية، والتوسعات التي أرادها نابليون بونابرت، كالمذهب الليبرالي الحر، الذي يقوم على مبدأ الحرية الاقتصادية في المجال الاقتصادي، إلى جانب الحريات الفردية والسياسية، ونادى بفكر الحرية والإخاء، وأصبحت فرنسا هي من تنزع التيار الليبرالي الحر، خصوصاً بعد سيطرة نابليون على السلطة، وتوسعاته الطموحة التي سعى إليها في أوروبا، على حين هزيمته عام ١٨١٥ م، أمام الدول المتحالفة، مثل: روسيا، وبريطانيا، والنمسا.

أما ثورة العمال الباريسيين، فهي إحدى نتائج هزيمة نابليون، وهي ثورة اقتصادية قام بها العمال أمام النظام الرأسمالي، واستطاعت فيها طرح مهام الثورة الاشتراكية، وقضية حقوق الطبقة العاملة، وباركها الاشتراكيون بدعمهم لها.

وعلى كل حال، فقد كانت هذه أحد أبرز أسباب نشأة الاتجاه الماركسي النقدي في أوروبا، وقد عرفت هذه الدراسة بالدراسة المادية للتاريخ.

وظهرت بشكل واضح على يد ماركس (١٨٨٣ م)، وإنجلز (١٨٩٥ م)، حتى كأن فلسفتهم لا تقوم إلا عليها حينما قالوا: "نحن لا نعرف سوى علم واحد هو علم التاريخ"^(٣).

(١) انظر: المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التهامي، ص ١٢٣.

(٢) دراسات في الواقعية، جورج لوكاش، ص ٢٤٥.

(٣) انظر: المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التهامي، ص ١٠.

وكان ماركس في نظر الماركسيين - كما يقول الفيلسوف الماركسي جورج لوكاتش - "هو أول من كشف عن الأسس الاقتصادية والاجتماعية لذلك الازدهار الفريد للحضارة البشرية"^(١).

وقد كانت الماركسية للرأسمالية كل عدا، أضمرت ذلك وأعلنته، فهي كما -يزعم جورج لوكا- تقلب رؤوس الناس رأسًا على عقب، حيث يقول: "ويعلم كل ماركسي، أن المقولات الاقتصادية للرأسمالية، تعكس في رؤوس الناس مباشرة على نحو مقلوب دائماً، وهذا يعني في حالتنا، أن الناس الذين تستحوذ عليهم المباشرة في الحياة الرأسمالية، يعيشون الوحدة ويفكرون بها.. أما في وقت الأزمة فيعيشون التمزق"^(٢).



المطلب الثاني

أبرز اتجاهات الماركسية الفكرية

من أبرز الاتجاهات الفكرية للمذهب الماركسي النقدي ما يلي:

١. يجسد هذا الاتجاه الرؤية الماركسية في تفسير الكون والتاريخ تفسيراً مادياً، فالحياة مادة، ولا إله في الوجود.

يتحدث ماركس وإنجلز في الأيدولوجيا الألمانية عام ١٨٤٦م، عن الأخلاق والعقيدة والفلسفة بوصفها "أشباحاً تتشكل في أدمغة البشر، أشباحاً ليست سوى انعكاسات وأصداء لعمليات الحياة الفعلية"^(٣). هذه نظرة الماركسية إلى الدين والغيبيات وما يتعلق بها.

٢. يحمل هذا الاتجاه مبادئ الفلسفة المادية الجدلية في الصراع بين الطبقات، التي تقوم عليها الشيوعية التي نادى بها ماركس وإنجلز، حيث تعتبر أن المادة هي الوجود الحقيقي، وأن القيم العقلية والثقافية انبثقت من العلاقات المادية بين الناس^(٤).

(١) دراسات في الواقعية، جورج لوكاتش، ص ٧.

(٢) نفس المرجع، ص ١٢٣.

(٣) انظر: النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ص ٥٠.

(٤) نفس المرجع ص ٤٩، وانظر: دراسات في الواقعية، جورج لوكاتش، ص ١١٦.

٣. يرى أن الإنسان حرر نفسه تدريجياً بنفسه، ولا يتم التحرر الكامل إلا عندما تتحقق الأهداف المنشودة، المتمثلة في خلو المجتمع من النظام الطبقي الرأسمالي، الخالي من الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، ومن الطبقات الاجتماعية.

فيرى أنصار هذا الاتجاه أن المعرفة الفكرية مبنية على النشاط الاقتصادي في نشأتها ونموها وتطورها، وغالباً ما يناصر المنظرون الماركسيون المؤلفين المتعاطفين مع الطبقات العاملة، والمؤلفين الذي يتحد عملهم في مواجهة الرأسمالية، وعدم الموازنة فيها، فالنظريات الأدبية الناشئة عن النموذج الماركسي لم تبحث فقط عن طرق جديدة لفهم العلاقة بين الإنتاج الاقتصادي والأدب، ولكن أيضاً كل الإنتاج الثقافي، وأصبح لها تأثير عميق على النظرية الأدبية والنقد العلمي^(١).

يقول الناقد الألماني برتولت بريشت (١٩٥٦م): "إن مفهومنا عن الواقعية [يعني الواقعية الاشتراكية] لابد أن يكون فضفاضاً وسياسياً ومتحرراً من القيود الجمالية، ومستقلاً عن الأعراف السائدة، فلفظ واقعي معناه: كشف شبكة المجتمع العلية، وعرض وجهة النظر المهيمنة، باعتبارها وجهة نظر القوى المهيمنة، والكتابة من منظور الطبقات التي هيأت أعراض الحلول لأشد المشكلات إلحاحاً في المجتمع الإنساني، والتركيز على الماديات المحسوسة"^(٢).

٤. ترى وجوب توظيف الفنون الأدبية والفكرية في خدمة المجتمع وفق المفاهيم الماركسية، التي تقضي بالاهتمام بالطبقات الدنيا، ولا سيما طبقات العمال والفلاحين، وتصوير الصراع الطبقي بينهم وبين الرأسماليين والطبقة الوسطى، وتجعل الرأسمالية والبرجوازية مصدر الشرور في الحياة، لذلك تسعى إلى هيمنة النظام الأدبي الماركسي بين طبقة الأدباء في الانتصار للفلاحين والعمال، ومهاجمة الطبقات البرجوازية.

(1) Internet Encyclopedia of Philosophy, Reviewed Academic Resource. <https://iep.utm.edu.literary>

(٢) الحداثة وما بعد الحداثة، بيتر بروكر، ص ٧٧.

يقول رمان سلدن: "ولقد نبع مبدأ الولاء للحزب، أي: الالتزام بقضية حزب الطبقة العاملة، من مقالة لينين عن تنظيم الحزب وأدب الحزب (عام ١٩٠٥م) حينما أعلن أن الكتاب أحراراً في كتابة ما يريدون، ولكن عليهم ألا يتوقعوا من الحزب أن ينشر لهم في مجلاته، إلا إذا كانوا ملتزمين بخط الحزب السياسي"^(١).

فمن خلال هذا الصراع بين الطبقات تنشأ المعارف الفكرية والتاريخية، التي تنبني على مادة هذا الصراع، ولا شك أن هذا خلاف المعرفة السائدة.

يقول الفيلسوف الماركسي جورج لوكاش: "فالتيارات الأدبية في المجتمع الطبقي، هي ثمار ضرورية للصراعات الطبقيّة، وللصدامات بين المطامع الاجتماعية والسياسية"^(٢).

٥. تتوجه الماركسية ليس إلى المادية فحسب، بل هي مادية جدلية، أي: بمعنى أنها نظرية، تعتبر أن كل ظاهرة يجب أن تدرس في إطار ديناميكي، تتعارض في صلبها القوى المتناقضة، فكل ظاهرة تحمل في أحشائها الشيء ونقيضه.

"فالمادية الجدلية الماركسية يهيمها بالمقام الأول العناصر المتناقضة الكامنة في صلب الأشياء، مثل: المادة، والحركة، والعام، والخاص، والحياة، والموت، والسلب، والإيجابي، والكيفي، والكمي، والثانوي، والرئيس، وهكذا"^(٣) وهذا هو أحد اختلافاتها مع المناهج الأخرى.

٦. ترى الماركسية أن هناك علاقة وطيدة بين النظريات الأدبية وبين الاضطراب السياسي والعقائدي، ترى أن المحفز الحقيقي للمجتمع الإنساني هو محفز اقتصادي، وهو ما يسيطر على تاريخ الإنسان^(٤).

(١) النظرية الأدبية المعاصرة، رمان سلدن ص ٥٢، وانظر، ص ٥٤.

(٢) دراسات في الواقعية، جورج لوكاش، ص ٢٤٥.

(٣) انظر: المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التهامي، ص ١٢٥.

(٤) انظر: Literary Theory, Terry Eagleton, The University of Minnesota press, Fourth

.131.printing,2003,p

Grundrisse وقد تحدث عن ذلك ماركس في كتابه الأسس، حينما ناقش مشكلة التضارب الظاهري بين التطور الفني والتطور الاقتصادي.

٧. ترى الماركسية أن البنى التحتية هي التي تحرك البنى الفوقية، والبنى التحتية هي نمط الإنتاج، ونمط الإنتاج يحوي كل ما يتعلق بالإنتاج؛ كالأرض، والمال، والمصنع، والعمال الكادحين.

أما البنى الفوقية، وهي الدين، والأفكار، والمعتقدات، وما إلى ذلك، وهي في النهاية منفعة بالبنى التحتية، وليست فاعلة.

يقول الناقد البريطاني رامان سلدن عن الرؤية الماركسية إنها ترى: "أن كل الأنساق الفكرية نتاج للوجود الاجتماعي الفعلي، وأن المصالح المادية للطبقة الاجتماعية المسيطرة هي التي تحدد الكيفية التي ينظر به الناس إلى الوجود، على المستوى الفردي والمجتمعي.. فهي انعكاس لمصالح الطبقة السائدة في طبقة تاريخية معينة.. وقد استعار ماركس لنظريته تعبيرين مجازيين من فن المعمار، فهناك بناء فوق يركز على العلاقات الاجتماعية الاقتصادية.. وبناء تحتى"^(١).

٨. نتيجة لما تقدم، اعتمدت الماركسية مقولة حتمية التاريخي، أي: أن التاريخ البشري مرّ بمراحل لا بد أن تتوالى حسب رؤيتها وفي مجال الفكر الأدبي، طبقاً لمحورين، وهما:

الأول: انبثاق الأدب وتكيفه بالواقع المادي الملموس في المجتمع والحياة، وهذا إقصاء لكل الجوانب المثالية والفكرية في تكييف الأدب والفن، والتركيز على الجوانب المادية.

الثاني: ربط الإنتاج الأدبي والفني والفكري بالتسلسل، طبقاً لحتمية ثابتة وجبرية لا فكاك عنها، وأن كل الفنون تبدأ بطريقة فطرية انطباعية عشوائية، تخضع للنظام الرأسمالي، ولا بد أن تصبَّ في نهاية الأمر في المستقبل الاشتراكي^(٢).

(١) انظر: النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ص ٥٠.

(٢) انظر: مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، ص ٣١.

٩. نقد النصوص الدينية، فالدين في نظرها - كما يقول ماركس - هو تأوهات المخلوق المضطهد، وسعاده المتخيلة، ونقد الدين هو نقد هذا الوادي من الدموع، المليء بالزهور الخيالية، والذي يمثل الدين هالة ضوئية تحيط به، ونقد الدين يقتطف هذه الورود الخيالية التي يراها المضطهد في السلسال أو الجنزير الذي يكبله، ولكن لا يفعل النقد ذلك ليحرم الرجل المضطهد من سعاده برؤية الزهور الخيالية، وإنما يفعل ذلك ليتمكن الإنسان من التخلص من السلسال الذي يكبله؛ حتى يحظى بالحرية؛ ليقطف الزهور الحقيقية^(١).

من هنا انطلقت الواقعية الماركسية في محاكمة النصوص محاكمة مادية، مبنها على البنى التحتية، وتصويرها للنصوص الدينية، أو الأدبية، أو غيرها، بأنها انعكاسات للبنى التحتية المتمثلة في نمط الإنتاج، فأرجعت كل الثقافات والحضارات والديانات إلى مصدر واحد، هو المصدر الاقتصادي.

ولذلك كان من تجليات الماركسية في نقدها للنصوص، هو وضع النتيجة مسبقاً، ثم الانطلاق للبحث لها في الأرشف والمراجع عن حجج وأدلة، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، لا يتورع الماركسي عن لي عنق التاريخ؛ لكي يوجهه الوجهة التي تخدم الكادحين، ولذلك كان من الواجب على المؤرخ والناقد الماركسي تغيير التاريخ لصالح المعذبين في الأرض، وليس راوياً للتاريخ فقط^(٢).

١٠. تعتبر الماركسية أن العالم بطبيعته مادي، وأن مختلف ظواهر الكون إنما هي جوانب مختلفة للمادة في حركتها، وأن العلاقات والشروط بين الظواهر التي يكشف عنها المنهج الجدلي هي القوانين الضرورية لنمو المادة المتحركة، وأن العالم ينمو حسب قوانين حركة المادة، وهو ليس بحاجة إلى روح شاملة، وليس بحاجة إلى هزة أولية، وليس بحاجة إلى محرك

(١) قراءة نقدية للإسلام، كامل النجار، ص ١٣.

(٢) انظر: المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التهامي، ص ١٣٢.

أول؛ لأن الكون يتوالد باستمرار، ويحمل في باطنه إمكاناته الخاصة في الحركة، والتحول، والحركة الكامنة، وصراع الأضداد، هو الذي يحرك الكون^(١).

ج. تطوراتها:

عندما انحسرت الماركسية انحسارًا كبيرًا، ظهرت محاولات لتجديدها، من أبرزها المادية الثقافية التي ظهرت في بريطانيا على يد رايموند هنري ويليامز ١٩٨٨م، والتي لا تدرس النص الأدبي في سياقه التاريخي الحالي والقديم فحسب، بل تدرسه حتى في إطار تعاقب الأجيال، وتسلسلها عبر التاريخ، ومن ثمّ فالمادية الثقافية هي نوع من المادية التاريخية، تتأرجح بين التصورات الماركسية والتصورات ما بعد الحداثيّة.

وفي الواقع، فإن المادية الثقافية هي قراءة ماركسية للأدب والفنون والظواهر الثقافية ليس إلا، فهي تهدف إلى استكشاف التناقضات المادية، والتاريخية، والثقافية، والسياسية، الموجودة في المجتمع، مع استكناه التفاوت الاجتماعي والصراع الطبقي، والتركيز على القاعدة والبنية الفوقية، والتشديد على البنية الاقتصادية، باعتبارها البنية المحركة للتاريخ والاقتصاد والمجتمع، ومن هنا، فهي التي تتحكم في البنية الفوقية بما فيها من أفكار، وقيم، ومؤسسات، وأنظمة قضائية، وأيديولوجية.

فهو يقرأ النص الأدبي والثقافي في ضوء معطيات سياسية واجتماعية، بغية فضح الاستغلال الذي يمارس على الناس؛ لأسباب عرقية، وجنسية، ولونية، وطبقية، ومن ثم يقوم مفهوم الالتزام بدور هام في تغيير النظام الاجتماعي السائد، واستبداله بنظام اجتماعي أفضل للإنسان^(٢).

(١) انظر: أصول الفلسفة الماركسية، الجزء الأول، جورج بوليتزر، ص ٢٠-٢٣.

(٢) النظرية الأدبية، ديفيد كارتر، ص ١٥٠.

ويهدف هذا إلى الالتزام بتغيير الواقع تغييرًا جذليًا، بإزاحة الطبقة المسيطرة المستغلة المالكة لوسائل الإنتاج ورأس المال، وتعويضها بطبقة المستغلين، التي لا تملك سوى قوة العمل^(١).

وكذلك النظرية الاجتماعية التي نادى بها الإيطالي سلفاتوري فيكا (١٩٨٧م)، والتي دعت إلى الحرية، وإلى عقد اجتماعي، يتساوى فيه الجميع في الحقوق، وترفض هذه النظرية قيام المجتمع على فكرة الفردانية، وعلى تعزيز الحريات، إلى جانب غيرها من النظريات، كنظرية الفعل التواصل للألماني هابرماس. وتعدُّ هذه النظريات وما شاكلها تطورات للماركسية - إن صح التعبير -.

فالماركسية، نشأت نتيجة هزات عنيفة، كرواج مفهوم الديمقراطية وتضادها مع النظريات ما قبل الحداثية، وتناقضات الاقتصاد الرأسمالي والحركات ذات الطابع الثوري؛ كثورة العمال الباريسيين، والحركات الليبرالية، والقومية، والهتافات ضد وثيقة حقوق الإنسان، إبان الثورة الفرنسية.



(١) النقد الاجتماعي، بيير زيبا، ص ٢٩ - ٣٠، والنظرية الأدبية، ديفيد كارتر، ص ١٥٠ - ١٥١.

المبحث الثالث

السريالية وأبرز اتجاهاتها الفكرية

تمهيد:

قبل الحديث عن السريالية تجدر الإشارة إلى الدادائية، فالسريالية نشأت في حقيقتها تجسيداً لما عجزت عنه الدادية، وإن انتقدت بعض الجوانب فيها، فما هي الدادية؟

الدادية:

"ما الجميل؟ ما القبيح؟ ما العظيم؟ ما القوي وما الضعيف؟ من هو رينان وفوش؟ لا أعرف، من أنا؟ لا أدري. لا أدري. لا أدري. لا أدري"^(١).

هذه المقولة لفيلسوف الدادية الكبير جورج ريمون ديسانبي ١٩٧٤م تجسد عمق فلسفة الدادية، وقد وضعتها في مقدمة تعريف الدادية عامداً؛ حتى تتكون الفكرة العدمية للدادية لدى القارئ الكريم، قبل الشروع في تعريفها.

فما هو تعريف الدادية؟

هي حركة أدبية وفنية عالمية، نشأت وظهرت على يد جملة من فلاسفتها؛ كالشاعر الفرنسي

(١) تاريخ السريالية، مورييس نادو، ص ٣١.

ترستان تزارا Tristan Tzara 1963م وهانز آرب ١٩٦٦م وقد ظهرت بشكل بارز عام ١٩١٥م وفرانسيس بيكابيا ١٩٥٣م أثناء الحرب العالمية الأولى، وقوامها السخط والاحتجاج على العصر، والرفض والهدم لكل ما هو شائع ومتعارف عليه من النظم، والقواعد، والقوانين، والأخلاق، والمذاهب، والفلسفات، والعلوم، والمؤسسات^(١).

لقد تكونت في مناخ الحرب العالمية التي دمّرت أوروبا، وكثيراً من أنحاء العالم، وذهب ضحيتها الملايين من البشر، وجرت البؤس والآلام إلى آخرين، واستعملت فيها دون شفقة، صنوف الأسلحة الفتاكة، وتكشفت عن انسحاق الإنسان تحت عجالات الآليات الرهيبة، وإفلاس جميع النظم والمبادئ والعقائد، وإخفاق حضارة القرن العشرين في جلب السعادة والسلام لبني البشر، ولما يمرّ أكثر من قرن على ويلات الثورة الفرنسية والحروب النابليونية، وما تبعها من الاضطرابات.

فكان في ذلك الوقت يجتمع عددٌ من الأدباء والفنانين في مدينة زيوريخ في سويسرا، وذلك في "ملهى فولتير" ويتذكرون مشاعرهم المشتركة، ويتبادلون آراءهم النقدية، في جوٍّ من الصراحة والحرية، فإذا بهم يلتقون عند نقطة الرفض، والتمرد، والقرف، واليأس، والشعور بالعبثية، والفرار السلبي من هذا العالم، إلى عالمٍ مبهم متخيّل.

وبعد الحرب العالمية، تخطت الدادائية حدود سويسرا إلى فرنسا، فلقبت إقبالاً واستقبالاً معظمه من قبيل الاستطلاع، والتطلع إلى شيءٍ جديد من قبل المجتمع، ولكن ما لبثت أن تلاشت، وحلّت محلّها السريالية^(٢).

إنها حركة عدميّة بكل جدارة Nihilist عشوائية جاءت لتناقض الفن، وكان شعارها "كل شيء لا يساوي شيئاً"، وأطلق عليها اسم ضد الفن، وذلك لكونها تعرض كل ما هو قبيح، وغريب، وعبثي، وغير معقول^(٣)، تجلت بخاصة في حقل الأدب، والفنون التشكيلية.

(١) انظر: الدادية والسريالية، ديفيد هوبكنز، ص ١١.

(٢) انظر: المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، كولن ولسن، ص ٢٧، وانظر: الدادية والسريالية، ديفيد هوبكنز، ص ١٥.

(٣) انظر: السورالية، دوبليسيس أيفون، ص ٤٨.

وقد صدرت لهم مجلة، تحمل مسمى دادا، بين عامي ١٩١٧-١٩٢٣م، وتضمن الكثير من بيانات الدادية، نقتبس منها هذا البيان الذي يسمى بيان أراغون: "من الآن فصاعدًا، لا رسامون، ولا أدباء، ولا موسيقيون، ولا نحّاتون، ولا أديان، ولا جمهوريون، ولا فلكيون، ولا إمبراطوريون، ولا فوضويون، ولا إشتراكيون، ولا بولشفيك، ولا سياسيون، ولا بروليتاريون، ولا ديموقراطيون، ولا جيوش، ولا شرطة، ولا أوطان، كفانا من هذه الحماقات كلها، لا شيء لا شيء لا شيء"^(١).

ونقتبس منها أيضًا هذا البيان: "إننا نصرح بالحرية، ولكننا لسنا أحرارًا، إننا نبصق على البشرية.. نحن قادة السيرك، وستجدوننا نصفر بين رياح مدن الملاهي، والأديرة، وأحياء الدعارة، والمسارح، والحدائق، والمطاعم.."^(٢).

ونقتبس أيضًا هذا البيان؛ ليعلم حقيقة هذه الفكرة الدادية: "هكذا تولّد دادا من واقع الحاجة إلى الاستقلالية، ومن عدم الثقة بالمجتمع، إن أولئك الذين ينضمون إلينا يحتفظون بحرياتهم.. إننا لا نقبل أية نظريات.. إننا مثل ريح غاضبة تمزق ثياب الغيوم والصلوات، إننا نهيم لمهد المار العظيم، التحلل والتشتت، إننا نعد لنضع نهاية تلك المرثاة، ونبدل الدموع بجنيات البحر سيتشرون من قارة إلى أخرى، قيثارات من المتع النارية تقلع ذلك الحزن المسمم.. دادا محو للذاكرة، محو للمعمار، دادا محو الرسل، دادا محو المستقبل، دادا الإيمان الكلي والمطلق بكل إله وجد في لحظة عفوية"^(٣).

فهي بيانات عبثية، مفعمة بالغضب، ناقمة على كل شيء، ليس هدف للوصول إليه، رافضة لكل المعتقدات الدينية، مزعزة لكل القيم، تائهة في لجج مظلمة، مشبعة باليأس، ترنو إلى الحرية البعيدة المنال، يخيم عليها الجو المعتم، والنظرة القاتمة، والروح المنهكة، ليس لديها ثقة بأي شيء، ولا تريد أن تثق بشيء، وهذا كله من صدمات الاضطراب والهلع، الذي رافق نشأة

(١) تاريخ السريالية، موريس نادو، ص ٣٥.

(٢) البيان الدادي، دراسات في الفكر الحدائي الأوربي ص ٣٤، وتاريخ السريالية، موريس نادو ص ٢٨.

(٣) نفس المرجع ص ٦١، وانظر أيضًا: البيانات السبع "دادا" نقلًا عن قصيدة النثر من بودلير حتى الوقت الراهن ٢/ ٤٤٨.

الدادية.

ومن أبرز اتجاهات الدادية، أنها شككت في اللغة في إيصال المعنى، بمعنى أنها رأت أن اللغة جيشٌ متحركٌ من الاستعارات، التي لا تؤدي إلى المعنى، وشككوا في قدرة اللغة على الدلالة على المدلول، واخترع بعضهم كلمات جديدة، مثل إطلاق كلمة بلابلش، أو بلابلابلش، على الشجرة عندما تمطر السماء، واشتهرت بعض قصائدهم التي ليس فيها أي انسجام في المعاني؛ كقصيدة الشاعر الدادي الألماني كورت شفيترز ١٩٤٨م التي يقول فيها:

تحياتي ٢٦٠ ألف سنتيمتر مكعب

أنا ملكك

وأنت ملكي

ونحن أنا

والشمس واللاحدود والنجوم تضيء

حزن وأحزان وندي

يا لويلك مني

إشعارات رسمية

جائزة ٥٠٠٠ درجة^(١).

ومن هذيانهم أيضاً قصيدة رجل الدادية أندريه بريتون ١٩٦٦م، حيث يقول فيها:

زوجتي بقوامها الشبيه بالقندس في أسنان النمر

زوجتي بصدغيها الشبيهين بأردواز سقف الدفيئة

بحاجبيها الشبيهين بحافة عش السنونو

زوجتي بعينها الخشبيتين اللتين دوما تحت البلطة^(٢).

فهذه الأشعار التي عنوا فيها تراص الكلمات اللغوية، لا تحمل أدنى انسجام فيما بينها، بل

(١) انظر: الدادية والسريالية، ديفيد هوبكنز، ص ٧١.

(٢) نفس المرجع، ص ٧٢.

هي أشبه بالهذيان، الذي يفتقر إلى الوعي، نتيجة تشكيكهم في إيصال اللغة للدلالات الحقيقية لكلماتها، وفي ظني أن هذا التفكيك المعنوي، كان من ضمن مقاصدهم فيه معاداة الرومانسية، التي كنوا لها كل عدا.

فهذه هي الدادائية بإيجاز، ومن خلالها نعبر إلى السريالية، التي نحن بصدد الحديث عنها فيما يلي.

فالمنهج السريالي أو التيار السريالي، ليس كالدادية من حيث انتشاره وبقاؤه، فله انتشار واسع، إلى جنب خطورته على الفكر الإنساني، والدين، والأخلاق، والقيم، فقد تمرت على كل الأديان والمبادئ، واهتمت بالقوى الغيبية؛ كالشياطين، وغيرها، مما أسهم في نظري - من شدّ أزر الحركات الشيطانية وعبدتها.

فهو يهتم باللاشعور أكثر من الشعور، ويسعى إلى الدخول إلى العقل الباطني، أكثر من الإحساس الظاهري، مما أسهم في تغذية التيارات الباطنية والروحية، وفيما يلي سيتم تسليط الضوء على أبرز ملامح هذا المذهب.



المطلب الأول

تعريف السريالية ونشأتها

أ - تعريفها:

السريالية تعني مذهب ما وراء الواقع، فقد أنكرت الواقع إنكاراً كلياً، واعتبرته زائفاً كل الزيف، وتمادت عليه، وشوهت معالمة، ولم تكد تبقي منه أثراً، وكان في حد ذاته مجابهة معلنة للمذهب الواقعي.

والواقع ما هو موجود، سواءً في عالم المادّة أم الحسّ أو الوعي، أي: ما يدركه الإنسان مباشرة في العالم الخارجي، أو ما يشعر به ويعيه في عالمه النفسي - كما سبق -.

وتعريفات السريالية العديدة تشير كلها إلى الانفتاح على المجهول، والمأ وراء، وتسعى إلى تحرير القوى اللاشعورية المكبوتة أو المجهولة في الإنسان، وذلك باستخدام طرق غريبة،

وأساليب تحقق من خلالها الوصول إلى تحقيق السريالية؛ كتحضير الأرواح، والأحلام، والهذيان غير المفهوم، وغيرها.

هذا هو واقع السريالية إذا أردنا تعريفه، ولكن السريالية تعرف نفسها بغير هذا التعريف، فهي تعرف نفسها كما جاء في بيانات السريالية بأنها: "آلية نفسية مجردة، نقصد بواسطتها التعبير نطقاً أو كتابةً أو بأي طريقة أخرى، عن عمل الفكر الحقيقي، فالسريالية هي ما يمليه الفكر بعيداً عن كل مراقبة يمارسها العقل، وخارجاً عن كل اهتمام جمالي أو أخلاقي"^(١)

هذا هو واقع السريالية إذا أردنا تعريفه من خلال الحكم على معطياتها ومسلماتها - كما ستأتي -.

ولكن السريالية تعرف نفسها بغير هذا التعريف، فهي تعرف نفسها كما جاء في بيانات السريالية بأنها "آلية نفسية مجردة نقصد بواسطتها التعبير نطقاً أو كتابةً أو بأي طريقة أخرى عن عمل الفكر الحقيقي، فالسريالية هي ما يمليه الفكر بعيداً عن كل مراقبة يمارسها العقل وخارجاً عن كل اهتمام جمالي أو أخلاقي"^(٢).

هذا هو تعرف السريالية الجذاب لنفسها، وهنا تصدق المقولة الشائعة: القول شيء، والفعل شيء آخر.

فتتفق كلمة الباحثين في وصف هذا الواقع غير الملاحظ في اعتقاد السرياليين أنه يظهر بين الحين والآخر، وذلك حين تنعدم رقابة الشعور في أشكال مختلفة، كالأحلام النومية، وأحلام اليقظة، وهذيانات السكر، أو التخدير، أو الحمى، وزلاّت اللسان، والأخطاء غير المقصودة، والميل أو عدم الميل نحو شخص من الأشخاص، أو شيء من الأشياء، وفي التنويم المغناطيسي والأمراض النفسية والمخاوف التي لا نجد لها مبرراً معقولاً والنزوات والجرائم الغامضة التفسير، هذه هي نظرة السريالية إلى عالم ما وراء الواقع، واقع غير مرئي ولا ملاحظ^(٣).

(١) تاريخ السريالية، موريس نادو ص ٧٠.

(٢) نفس المرجع ص ٧٠.

(٣) انظر: تاريخ السريالية، موريس نادو ص ٦١ والمذاهب الأدبية لدى الغرب، عبد الرزاق الأصفر، ص ١٧٠

فالسريالية، لا تعتمد على الفكر فقط، بل تبحث في حقيقتها عن واقع خفي، أو أنها تبحث عما وراء الواقع، أو لأنها تبحث عن واقع غير موجود أصلاً، إنه شيء يقبع في أعماق النفس دون أن يشعر الإنسان بوجوده، إنه واقعٌ موجود، ولكن في عالم اللاشعور أو اللاوعي، أو عالم العقل الباطني -سمّه ما شئت- وهو يؤثر في شخصيتنا وسلوكنا وتصرفنا ودوافعنا دون أن نعي آلية هذا التأثير إنه موجود، ولكنه غير ملاحظ.

ب - نشأتها:

وُلدت السريالية عام ١٩٢٤م في باريس على يد عشرة رجال أولهم اندريه بريتون ١٩٦٦م الذي كان يخدم في صفوف الجيش الفرنسي كمرّض خلال فترة الحرب ثم تعرف على نظريات فرويد الخاصة باللاوعي وسرعان ما دمجها بريتون وأصدقائه بما يخدم مصالحهم الشعرية حيث طوروا تقنيات طرق السريالية ثم أصدروا في عام ١٩٢٤م أول بيان للسريالية^(١).

ولكنها لم تنحصر في فرنسا فقط، بل امتد مجالها إلى بلدان مختلفة، وأصبح تأثيرها واضحاً في كل من بريطانيا وبلجيكا وإسبانيا وسويسرا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا، وحتى في قارات مثل آسيا وإفريقيا وأمريكا كالمكسيك والبرازيل والولايات المتحدة، وقد مثلت أربعة عشر بلداً في المعرض الدولي للسريالية الذي أقيم في باريس في كانون الثاني شباط عام ١٩٣٨م^(٢).

وقد صاحب نشأتها نهاية الحرب العالمية الأولى ونهايتها مع اندلاع الحرب العالمية الثانية^(٣) فالسريالية بنوع خاص مرتبطة بالحقبة الزمنية الممتدة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية. لقد نشأت السريالية وهي تحمل في طياتها عبثية الدادية وعدميتها، ونصبت نفسها كفارس لتحقيق ما عجزت عنه الدادية، فلم تكتف بعدمية وعبثيتها، بل عمدت إلى الإتيان بواقع بديل، وتدمير الواقع القديم.

(١) انظر: الدادية والسريالية، ديفيد هوبكنز، ص ٢٩.

(٢) تاريخ السريالية، مورييس نادو، ص ١٠.

(٣) نفس المرجع، ص ٥، وانظر: الدادية والسريالية، ديفيد هوبكنز، ص ٣٤.



المطلب الثاني

طرق الوصول إلى تحقيق السريالية

حاولت السريالية تعطيل الطرق «الطبيعية» المفترضة لرؤية الأشياء، وسعت إلى الوصول إلى العقل الباطني^(١)، فهي تستقي من إملاءات اللاواعي، في غياب مراقبة من العقل والمنطق. وإذا كان ذلك كذلك، فكيف يمكن الوصول إلى هذا الفكر؟ للسرياليين في ذلك تقنيات وطقوس وأنشطة، أبرزها ما يلي:

١ - الكتابة الآلية: وهي عفوية الفكر الطليق، وهذا ليس مقتصرًا على العباقرة، بل يشترك فيه كل الناس، والمراد بالآلية هنا: تسيير الفرد من قبل قوة داخلية، تقهر كل المقاومات الواعية اليومية.

وهذه الكتابة الآلية هي عبارة عن هذيانهم، كما في حالات الأحلام والجنون، يجري فيها تدفق تيار اللاوعي، وتتخللها صحوات.

والذي يدخل هذه التجربة يطلق نفسه على سجيّتها، ويُملي كل ما يخطر بباله من التدايعات، أو يدوّنه في حالة الصحو، دون تنقيح، أو تجميل، أو زيادة، أو نقص، وقد يستعينون للدخول في هذه التجربة بالمخدرات، وهم يرون أن حصيلة هذه الكتابة الكشف عن قرارة اللاشعور، الذي يزخر بتيارات فكرية، هي أغنى وأعمق مما تنتجه الذات الخارجية الواعية.

وهدفهم تحرير اللغة من القيود الكلاسيكية؛ لأن اللغة عندهم ليست مجرد وسيلة للتواصل والتبادل الفكري فقط.. بل هي وحدة تتضمن معاني مستقلة وعميقة، تتماثل مع محتوى اللاشعور، وهي مهمة؛ لأنها تمثل الوسط المثالي الذي تمتزج فيه العوالم النفسية بالمادية^(٢). ففيها يطلق العنان للخيال والشعور واللاشعور، ويعبر عن كل ذلك بعبارات ورموز،

(١) ما بعد الحداثة، مقدمة قصيرة، كريستوفر باتلر، ص ١٥، وتاريخ السريالية، موريس نادو، ص ٥٦.

(٢) انظر: الحديث عن آلية الكتابة وخفاياها: قصيدة الشر من بودلير حتى الوقت الراهن، سوزان برنار، ٢/ ٤٥٣.

ليست واعية ولا منطقية، ولا مقصودة ولا مترابطة، ولا يُراعى فيها الشكل الفني أو القيمة الأخلاقية.

٢- لعبة الجيفة الشهية: يجلس السرياليون ويتناولون ورقة يتناوبونها فيما بينهم، فيما يدون كل منهم فيها كلمة أو عبارة، كل بدوره، مما يخطر بباله فوراً دون تفكير وروية، ودون أن يكون هنالك رابط بين هذه العبارات والكلمات.

وبالنتيجة يحصلون على نصّ عجيب كتبه الجماعة، يعكفون على تحليله؛ ليستنبطوا من خلاله اللاشعور الجمعي.

وسبب هذه التسمية، أن التجربة الأولى أسفرت عن هذا النصّ: "الجيفة- الشهية - ستشرب- الخمر- الجديد". وفي مرة أخرى حصلوا على النصّ الآتي:

"النجار المجنح يغوي الطير المسجون -بحّار السنغال سيأكل الخبز المثلث الألوان"^(١). وقد يعمدون إلى الرسم بَدَل الكلمات؛ فيرسم الأول خطأً، ثم يضيف كل بدوره خطأً بالتناوب، مكمّلاً الرسم؛ فيخرج رسمٌ سريالي من إنتاج عدة أشخاص، أو ربما يعمدون إلى كتابة قصيدة مشتركة بهذه الطريقة الآلية، لا وزن لها، ولا قوافي، ولا موضوع.

٣- التنويم المغناطيسي: وقد لجأوا إلى هذا النوع في عام ١٩٢٤م، وكان روبير ديسنوس ١٩٤٥م خبيراً بالتنويم المغناطيسي، ينوّم شخصاً ويخاطبه، فيتكلم دون وعي أو ذاكرة، فيسجّل ما يقوله، ثم يجري تحليله.

٤- إطفاء النور والكلام دون وعي، في جوٍّ من الفوضى والاختلاط، وكأنهم سُكّارى، أو مجانين، يهزون ولا يعرفون حدوداً لاستبصارهم الخيالي.

٥- قراءة المواقع الخفية في اللاشعور، من خلال استنطاق الأحلام النومية، التي ينفلت فيها اللاشعور في واقعه الحقيقي، قبل أن تضبطه وتفسره الثقافة والعادات والأخلاق.

٦- تدوين أحلام اليقظة: وفيها يستسلم الإنسان في حال من الهدوء، إلى شريط من الذكريات والتداعيات والتصورات، التي تتوالى حرّة تلقائية من دون ضبط أو رقابة أو إيقاف، ثم

(١) انظر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، عبد الرزاق الأصفر، ص ١٤٢.

يدون فوراً كل ما عبر في هذا التيار، ليعود من ثم إلى تحليله وتأمله.

- ٧- التقاط كلام المجانين وهذيانهم، ورصد تصرفاتهم؛ كوسيلة لمعرفة أعماق ذواتهم. فالجنون حلمٌ ممتدّ يتمسك به المريض للهروب من واقع غير مرغوب فيه، ويصبح هذا الحلم عنده حقيقة، وهو يسمح بتدفق حرّ لتيار الرغبات المكبوتة.
- ٨- اختراع أو تخيل أشياء غريبة ذات مفارقات وتناقضات: مثل: سيارة ضخمة مصنوعة من الجبس، وملفوفة بألبسة داخلية نسائية، أو مثل: كتاب على ظهره عفريت خشبي، ذو لحية آشورية، تتدلّى إلى قدميه.

فحين ينعدم الفكر المنطقي، والرقابة الواعية، يتاح المجال للصدفة، والوهم، والمدهش، والغريب، وعالم الأشباح، والتجليات، وانفلات الخيال.

- ٩- تحليل الآثار الأدبية الشعرية والروائية، التي يخلق فيها الخيال أشياء وأجواءً جديدة وغريبة، وتبرز من خلالها الانفعالات العميقة للكائن الإنساني، ويصير المستغرب وغير العادي داخلياً في الحياة اليومية. (رؤية الأشباح أو سماع هاتف خفي...).

ولذلك أكثر السرياليون من تتبع الروايات السوداء، المملوءة بالغموض، والأوهام، والغرائب، والطلاسم، التي تشبه كوابيس يغيب فيها الإنسان عن الواقع، مثل: روايات شارل ماتوران، وم.ج. لويس، والروايات الشعبية الفرنسية من نوع (أسرار باريس) لأوجين سو.

- ١٠- الدعابة الساخرة والتهكم الناقد اللاذع: وكان هذا دأبهم في كل اجتماع وحديث، وكأنها وجدوا فيه وسيلة للاحتجاج على الواقع وتهديمه، وإحلال كونٍ جديد مكانه، فالسخرية عندهم عملية محو وبناء في آن واحد، وهي وسيلة أمينة لقول الحقيقة، وهز وجدان الإنسان العادي، الذي ترهقه الضغوط، والإنسان المتعب اليائس المحبط، للتغلب على ضغوطات العالم الخارجي الرديء.

ومن جهة أخرى يمكن القول: إنهم يرون أن السخرية وسيلة يقاوم بها الإنسان آلامه الخارجية من داخل ذاته، إنها إطلاق شحنة حييسة بشكل عدواني متوتر، وليست أبداً للإمتاع والضحك، ولكنها سوداء مؤلمة، وقد كانت أجمل أغانيهم أكثرها يأساً وسخرية وإيلاماً.

١١- التجوال في الشوارع، وارتداد الأماكن الشعبية القديمة والمريية؛ للبحث عن الغرابة، والمصادفة، والمتوقع، وغير المتوقع، والتقاط المدهشات، فقد كان بعض رواد السريالية يجول في الشوارع مرتدياً زي ملازم في الخيالة، أو زي طيار، أو طبيب، وإذا ما التقى بمن يعرفه، يتصرف وكأنه لا يعرفه، ويتابع طريقه ولا يلتفت إلى الوراء، ولا يمدُّ يده للتحية أو الوداع^(١).



المطلب الثالث

الاتجاهات الفكرية للسريالية

هناك عدة اتجاهات فكرية تبتنها السريالية، من أبرزها ما يلي:

١- اتجهت السريالية جانباً جديداً إلى البحث في الروحانيات والماورائيات، بعد أن استفردت الماديات بالعقل الغربي مدة من الزمن، وكأنها عودة إلى الوراء، ولكنها عودة مشوهة، حيث أرادت أن تؤمن بالميثافيزيقيا، ولكنها ميثافيزيقيا شوهاء، خلطت فيها ما بين الأرواح الشريرة بالغيبيات أو الميثافيزيقيات، ودججت بين العقل الباطني والاعتقاد الظاهري، وبين الصحو والجنون، والحلم والخيال، إنها مزيج رهيب بين مختلف المتناقضات.

فلماذا الرجوع إلى الماورائيات بعد التشبع بالماديات؟ يشاركني في هذا التساؤل "موريس نادو" ٢٠١٣م حينما يطرح نفس السؤال ثم يجيب: لم تكن تجدي شيئاً إعادة الوحي إلى الأرض، من أجل الهروب من جديد إلى ما فوق الطبيعة^(٢).

ويعزي البعض في هذا التحول في الذهنية الغربية في السنوات الأخيرة إلى بحثهم عن الروحانيات "فقد أخذت تعود إلى الدين، وتبحث عن الروحانيات بكل السبل، ولكن هذه

(١) لمزيد من الاطلاع على الأفكار السريالية انظر في: عصر السريالية، والاس فاولي، ص ٥٨، وقصيدة النثر من بودلير حتى الوقت الراهن، سوزان برنار، ٤٤٧/٢، وتاريخ السريالية، موريس نادو، ص ٢٤، ٦١، وانظر: الدادية والسريالية، ديفيد هوبكنز، ص ٧٤، وما بعدها.

(٢) تاريخ السريالية، موريس نادو، ص ٦٢.

العودة لم تكن إلى الدين المسيحي بالمعنى التقليدي للكلمة، وإنما إلى التصوف والحكمة الشرقية، والإيمان المحرر من الطقوس إلى حد كبير، وشهدنا إقبال قطاع واسع من الفرنسيين على العقيدة البوذية، والروحانيات الشرقية، بشكل عام.

يحصل كل شيء كما لو أن الأوروبيين بعد أن شبعوا من الماديات حتى أتحموا بها، أخذوا يشعرون بفراغ داخلي، وراحوا يبحثون عما يتجاوز الماديات، أي عن الحياة وسر الوجود، وهنا بدا أن الحداثة قد استنفدت طاقتها بدورها، بعد أن جربت نفسها، وأعطت ملء ما عندها على مدى القرنين الماضيين^(١).

٢- المدرسة السريالية اعتمدت الدراسات السيكلوجية الفرويدية في أسسها، حول عالم الحلم، واللاشعور، فكأنها بالفعل هي التجسيد الفني والأدبي لمنهج فرويد في التحليل النفسي، القائم على العالم الباطني اللاشعوري، وهذا ما يعتبره السرياليون الواقع النفسي الحقيقي، ولكنها لم تحل مشاكل الإنسان النفسية عن طريق التحليل النفسي، وإنما عن طرق مختلطة بين المعقول واللامعقول، وتخلط بين الصحة والجنون والهلوسة اللاواعية ومخاطبة العقل الباطني والمشاعر الواعية، في سعيها لحل إشكالات البؤس الذي خلفته الماديات من جهة، وما خلفته الحروب الدموية العالمية من جهة أخرى.

يقول موريس نادو: "بعد أن تأسست الحركة بمدة طويلة، لم تغب عن أذهانهم إرادة البحث العلمي في المجال الذي اكتشفه فرويد، وانطلاقاً من وجهة النظر هذه، ومن العدل أن الحكم على النتائج الشعرية والتشكيلية التي توصلوا إليها، دون أن نلجأ إلى قواعد الفن والجمال"^(٢).

٣- السريالية تفكير وعمل، نظرية وتطبيق. إنها مغامرة للبحث عن طريق يجمع بين المعرفة والخلاص^(٣).

(١) معارك التنويريين والأصوليين في أوروبا، هاشم صالح، ص ٣٦٠.

(٢) تاريخ السريالية، موريس نادو، ص ٥٧.

(٣) فلسفة السريالية، ف. ألكيه، ص ٣٥.

٤ - كل نشاطها يتجه إلى الوصول إلى نقطة مركزية عليا، تختصر العالم وتهيمن عليه، ومنها ينطلق الفكر ويشع في جميع جهات الحياة المرئية والخفية؛ لتجديد الفرد والحياة الاجتماعية، والانتصار على الواقع، والتحكم في المستقبل - كما يعتقد السرياليون^(١).

٥ - هجمت السريالية هجمة شعواء على الواقعية، خصوصا في بيانات السريالية التي كانت تصدر عنها، وبما أن الرواية في التعبير الأدبي لدى الواقعية هي الأكثر شيوعاً، فقد شنت هجومها الكاسح على الرواية، ولعلنا نقبس أحد بيانات السريالية في هجومها على الواقعية، حيث تقول: "لماذا أصبحت الرواية التعبير الأدبي الأكثر شيوعاً؟ لأنها من جهة تشبه الشهوة المنطقية عند الذين يقرؤونها، والذين يجدون فيها بنوع خاص عندما تتداخل بعض الشهوات الرديئة، نشوة ناتجة عن إضافات بعض القوى.. هل أعطيت اللغة للإنسان لاستعمال تافه كهذا؟ ألم تمنح له بالأحرى لأجل استعمال سريالي؟ لكي تعطي شكلاً للمخيلة التي يحملها كل في ذات"^(٢).

ومن هنا أنكر السريالية علاقة الواقع الموضوعي بالأدب^(٣) بخلاف بعض المناهج الأخرى؛ كالماركسية مثلاً، التي تعتقد أن للأدب صلة قوية بالواقع.

٦ - تمردت السريالية على الأديان كلها، لكنها لم تستطع الإتيان بدين جديد بديل، وتركت الإنسان قلقاً مرتعداً في مهبط العواصف.

وأرادت إصلاحاً جذرياً شاملاً لعالم البشر، لكنها لم توجد نظامها الكلي وأدواتها المناسبة، واضطرت إلى الانسياق مع الماركسيّة، على ما بينهما من الخلاف؛ لأنها وجدت فيها نظاماً فكرياً وعملياً جاهزاً، هو أقرب الأنظمة إلى طبيعتها الثورية، ولكن اختلاف المنطلق بينهما، أدى إلى تفسخ الحركة، بعد أن اتضح عدم إمكانية تعايشهما في نهج واحد، وانتهت مقولة: "إذا كنت ماركسياً فلا داعي لأن تكون سريالياً"؛ لأن الشيوعيين رموها بالمثاليّة، والغيبية، والروحانية،

(١) أندريه بروتون والمعطيات الأساسية للحركة السريالية. ميشيل كاروج، ص ٢٠.

(٢) تاريخ السريالية، مورييس نادو، ص ٦٩.

(٣) دراسات في الواقعية، جورج لوكاتش، ص ١٣٤.

والغموض، والحيرة، وضبابية الهدف، والتخبط.

٧- يتجه السرياليون إلى التعامل مع السلطات الخفية السوداء؛ كالشياطين، والأرواح، والأساطير، والخوارق، والأحلام، والشطح الخيالي، مما كانت تنجذب إليه نفوسهم الحساسة، وعكفوا على أساليب غير علمية؛ كالبحث عن ماء الشباب، وحجر الفلاسفة، وممارسة السيمياء (الكيمياء القديمة التي كانت تحاول تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب) والنظر في السحر، والتنويم المغناطيسي، وغير ذلك من الأباطيل^(١)، فكان كل سبعة أو ثمانية يعيشون لأجل هذه اللحظات، حيث يتكلمون في ظلمة الأضواء المطفأة دون وعي منهم، وكأنهم يسبحون في الفضاء^(٢).

فالسريالية كانت في أصلها أحد إفرازات الدادية، وهي حركة نشأت في عصر الحداثة، وهي فلسفة عدمية، حيث تكونت في مناخ الحرب العالمية الثانية، وكان شعارها: كل شيء لا يساوي شيئاً، وانتشرت بين أدباء فرنسا وسويسرا وكثير من البقاع، ولكن لم تكن في قوة تيار السريالية التي ظهر بعد ذلك، حيث أنكرت السريالية الواقع إنكاراً كلياً، وهذا في ظني من أثر شظايا مذاهب السفسطائية.

وقد تقمصت السريالية رداء علم التحليل النفسي، ولكن لبست صورته المزورة، ولم تلبس حقيقته، وأرادت أن تبخر في ركاب العلوم الاجتماعية والمادية، ولكنها لم تبلع سوى عباب الموج العائم، وأرادت أن تخلص الإنسان البائس من بؤسه وشقائه، ولكنها أوقعته في شر حبالها، فلا يسرت له سبل النجاة، ولا هي تركت له عقله لينجو به، بل تركته عائماً بين شتات الصحو والجنون، والسكر والمجون -والله تعالى أعلم-.



(١) انظر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، عبد الرزاق الأصفر، ص ١٧٦.

(٢) انظر: تاريخ السريالية، مورييس نادو، ص ٦١.

الخاتمة

نشأت الواقعية كردّ فعل على الرومانسية، التي أغرقتها فكرة الخيال، فجنحت إلى الارتكاز على الفلسفة المادية وتبنت منطلقاتها ونظرت من منظور ما هو واقعي فقط ومالت عن ما وراء الواقع، وفي هذه النظرة الواقعية تنقسم إلى أقسام مختلفة نتيجة تلك النظرة، ومن أبرزها: الواقعية النقدية، وتسمى الواقعية الأم، أو الأوربية، أو المتشائمة، والتي تتمثل في علاقة المبدع بالواقع؛ لأنه يعتبر قائدًا فكريًا في مجتمعه، ولما كانت هذه النظرة هي نظرتها العامة ثارت على كل النظم التي تنازعها في ذلك عبر التاريخ، فهاجمت الكنيسة والإقطاع ورجال الدين، وصرفت اهتمامها إلى حل مشكلات المجتمع، من وجهة نظرها، إلا أن حلولها غالبًا ما تبوء بالفشل، وذلك لنظرتها المسبقة إلى المجتمع، والتي كانت تحكم عليه بالشر والفساد قبل الغوص في حل مشكلاته.

فكانت ترى أن الإنسان حيوان تسيّره الغرائز والحاجات العضوية والوراثية، وأما حياته العقلية فهي طفيليات ملتصقة به، وتعتمد إلى المكاشفة الواقعية للجنس بألفاظ بذئية، وتصريحات جنسية غريبة، بحكم الواقعية التي زعمتها، مع بعدها التام عن الغيبات والميتافيزيقيا.

وبنفس منطلق الواقعية المادي، انطلقت فكرة الماركسية التي كانت تجسيدا لتلك المادية، ورأى أن كل الظواهر يجب أن تدرس في إطار ديناميكي، تعتمد فيه على الرؤية الماركسية الجدلية في تفسيرها المادي للتاريخ من تصارع البنى التحتية التي يمثلها الاقتصاد مع البنى الفوقية، والتي تمثلها جميع مظاهر الحياة الطبيعية، ونتيجة لهذه النظرة الواقعية، أنكرت كل ما هو غير مادي، وأظهرت عداوتها له، كالغيبات ونقد النصوص الدينية.

لم تدم العلاقة الوطيدة بين الواقعية والماركسية وبين المادية دون عقبات ومواجهات، كان من أبرزها الحركة السريالية، والتي كانت في أصلها أحد إفرازات الدادية، حيث أنكرت الواقع الذي يتغنى به الواقعيون والماركسيون إنكارًا كليًا، فأنكرت كل ما هو موجود، وهذا في نظري أقرب إلى السفسطة القديمة، وكان لها انتشار واسع، وله خطره على الفكر والمجتمع، فهي لم

تكتف بمعاداة الواقع فقط، بل جنحت إلى نقيضه وهو تبني الأفكار غير الواقعية في سعيها الدؤوب للوصول إلى العقل الباطني، ونتيجة لذلك شرعت لنفسها طرقا كثيرة للوصول إلى ذلك الهدف المنشود ومن أبرز تلك الطرق الكتابة الآلية، ولعبة الجيفة الشهية، والتنويم المغناطيسي، وإطفاء النور والكلام دون وعي، وتدوين أحلام اليقظة، والتقاط كلام المجانين، واختراع وتخيل أشياء غريبة ومتناقضة، والدعابة الساخرة، والتهكم اللاذع، والتجوال في الشوارع، وغيرها.



فهرس المصادر والمراجع

١. ألكيه، فردينان. فلسفة السريالية: ترجمة: وجيه العمر. د. ط، د. م، وزارة الثقافة، د. ت.
٢. أيفون، دوبليسييس. السورالية: ترجمة: هذر يزغب. ط ١، بيروت، لبنان، مطبوعات عويدات، ١٩٨٣ م.
٣. باومان، زيجمونت؛ ودونسكيس، وليونيداس. الشر السائل، العيش مع اللابديل: ترجمة: حجاج أبو جبر، وتقديم: هبة رؤوف عزت. ط ١، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٨ م.
٤. برنار، سوزان. قصيدة النثر من بودلير حتى الوقت الراهن: ترجمة: راوية صادق، ومراجعة: رفعت سلام. د. ط، القاهرة، دار شرقيات، ١٩٩٨ م.
٥. بوليتزر، جورج. أصول الفلسفة الماركسية: تعريب: شعبان بركات. د. ط، بيروت، المكتبة العصرية، د. ت.
٦. تيغيم، فان. المناهج الأدبية الكبرى في فرنسا: ترجمة: فريد أنطونيوس. ط ٣، بيروت، باريس، منشورات عويدات، ١٩٨٣ م.
٧. الحلبي، موفق. البيان الدادي، دراسات في الفكر الحداثي الأوربي: د. ط، بغداد، المكتبة المستنصرية، ١٩٩٨ م.
٨. رايلي، كافين. الغرب والعالم: ترجمة: عبد الوهاب المسيري، وهدي حجازي. د. ط، الكويت، عالم المعرفة، د. ت.
٩. زيم، بيير. النقد الاجتماعي: ترجمة: عائدة لطفي، ومراجعة: أمينة رشيد، وسيد البحراوي. ط ١، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١ م.
١٠. صالح، هاشم. معارك التنويريين والأصوليين في أوروبا: ط ١، بيروت، لبنان، دار الساقى، ٢٠١٠ م.
١١. غاتشف، غيورغي. الوعي والفن: ترجمة: نوفل نيوف. د. ط، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٩٠ م.

١٢. فيشر، إرنست. الاشتراكية والفن: ترجمة: أسعد حليم. د. ط، بيروت، دار القلم، ١٩٨٣م.
١٣. قصاب، وليد. في الأدب الإسلامي: ط ١، دبي، دار القلم، ١٤١٩هـ.
١٤. كارتر، ديفيد. النظرية الأدبية: ترجمة: باسل المسالمة. ط ١، دمشق، سوريا، دار التكوين، ٢٠١٠م.
١٥. كاروج، ميشيل. أندريه بروتون والمعطيات الأساسية للحركة السريالية: ترجمة إلياس: بديوي. د. ط، د. م، وزارة الثقافة، د. ت.
١٦. كانغيلام، جورج. دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها: ترجمة: محمد ساسي. ط ١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، د. ت.
١٧. كحوال، محفوظ. المذاهب الأدبية، الكلاسيكية، الرومانتيكية، البرناسية، الواقعية، الرمزية، الوجودية، الدادية، السورالية: د. ط، قسنطينة، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
١٨. كرانت، ديمين، وبيير، جلين، ودوسن، ديبلو. موسوعة المصطلح النقدي، الواقعية، الرومانسية، الدراما والدرامي والحبكة: ط ٣، ج ٣، القاهرة، دار الفضيلة، ١٩٨٣م.
١٩. كرم، يوسف. تاريخ الفلسفة اليونانية: ط ١. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، ١٩٤٦م.
٢٠. كريسون، أندريه. المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة: عبد الحليم محمود، وأبو بكر ذكرى. القاهرة: مطابع دار الشعب، ١٩٧٩م.
٢١. الماضي، شكري. مقاييس الأدب، مقالات في النقد الحديث والمعاصر: ط ١، دبي، دار العالم العربي، ٢٠١١م.
٢٢. الميداني، عبد الرحمن حبنكة. كواشف زيوف: ط ١، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ.

٢٣. نادو، موريس. تاريخ السريالية: ترجمة: نتيجة الحلاق، ومراجعة: عيسى عصفور. د. ط، دمشق، سوريا، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية. د. ت.
٢٤. هوبكنز، ديفيد. الدادية والسريالية: ترجمة: أحمد الروب، ومراجعة: محمد فتحي خضر. ط ١، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٦م.
٢٥. ولسن، كولن. المعقول واللامعقول في الأدب الحديث: د. ط، بيروت، دار الأدب، ١٩٦٦م.
٢٦. ويليك، رينيه. مفاهيم نقدية: ترجمة: محمد عصفور. د. ط، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٨م.

27. Encyclopaedia.Britannica <https://www.britannica.com/art/classical-literature>.
28. Encyclopaedia.Britannica. Romanticism-Encyclopedia Britannica Online <https://www.britannica.com/art/>.
29. Internet Encyclopedia of Philosophy Reviewed Academic Resource. <https://iep.utm.edu.literary>.



Publication Rules

- All research papers must adhere to Sharia guidelines, educational policies, and regulations of the Kingdom of Saudi Arabia.
- Manuscripts submitted should represent original and novel works.
- Adherence to well established scientific methodology.
- If the research paper has been previously published elsewhere in any form, JSSIS does not bear any legal consequences for this.
- The research paper can be part of a book or derived from a thesis in which the author obtained a degree.
- Original manuscripts should not exceed 10,000 words in length. If exceeds it shall be treated as more than one research paper.
- Arabic and English abstracts should include the following: research topic, research problem, objectives, methodology, and the most important results.
- Research introduction should present title, research problem, questions, methodology, literature, main contribution, and plan.

Publication guidelines

- Authors should submit their works through the journal's email: almajallah@kku.edu.sa
- Font: Traditional Arabic.
- Body Font Size: (16), footnotes and references: (12), titles: (18).
- **The researcher must attach the following:**
 - A summary of up to (200) words in both English and Arabic. English summary should be certified by accredited translation body.
 - Curriculum Vitae, including: (Name, scientific degree, area of specialization, current employment, important scientific achievements, correspondence address, e-mail address, mobile number)
- **Adherence to the following documentation and referencing methods of research sources:**
 - Citing the book title and author(s), including any publication information.
 - Inserting footnotes at the bottom of each page, and footnotes numbers should be between brackets.
 - Writing the Quranic verses in accordance to the Uthmani script followed by their reference, and can be downloaded from the following link: <https://nashr.qurancomplex.gov.sa/site/>
 - The bibliography attached at the end of the research paper must be complete and not concise for each reference, and must be written in MLA style.

Review and Publication Process

1. All research will be subject to scientific review, in accordance to the widely recognized scientific rules and regulations.
2. The order of research papers when published will be subject to technical and chronological considerations.
3. The journal reserves the right to publish the research paper in the edition it deems suitable, or republish it in any form if it considers that necessary.
4. The published material expresses the opinions of its authors and does not necessarily reflect the opinion of the journal.

Journal Title

King Khalid University Journal for Sharia Sciences and Islamic Studies. Abha: (9010)

Correspondence should be directed to the Chairman of the Journal's Editorial Board Email:
almajallah@kku.edu.sa

